القُوَّة الإنجازيَّة للاستفهام في النَّظْم القُرْآنِيّ- سور "آل حم" نموذجًا

مقدمة

يأتلف عنوان البحث من ثلاثة عناصر مُؤَسِّسَةٍ، أولها-الاستفهام، وثانيها- القوة الإنجازية للاستفهام، وثالثها-مجال الدرس التطبيقيّ، وهو النّظم القرآنيّ، وقد خصصته بـ"سور آل حم".

يعتمد الاستفهام بوصفه وسيلةً تخاطبيةً على أبرز أدوات التخاطب، مثل: المُرْسِل، والمُرْسَل إليه، والرسالة، والأداة. ووظيفته تواصلية إبلاغية متعلقة بالتحقق وعدمه، تصورًا وتصديقًا.

ولا يقف الكشف عن معنى الاستفهام عند حدود البنية، بل يتجاوزها إلى أحوال الاستعمال؛ لأن معناه يتمثل في "تداوله" بين السائل والمخاطب في السياقات المختلفة، وفق أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين. وهو نوعان: مباشر غرضه إنجاز الجواب عن السؤال، وغير مباشر ينجز معانى غير مباشرة، يحكمها ضوابط، من أهمها- السياق، وقصد المتكلم، والعرف اللغويّ...إلخ.

وللاستفهام قوة إنجازية مباشرة وغير مباشرة، تتفاوت شدةً وضعفًا وَفْقَ الوسائل اللغوية وغير اللغوية. ويكشف مفهوم القوة الإنجازية عن العلاقة الوثيقة بين الأفعال الإنجازيّة وسياقاتها الاتصالية الاجتماعية، ويعد وصفها وصفًا دلاليًّا، وتعيين درجاتها المتفاوتة، وتحديد إستراتيجياتها، ودوافع المتكلمين لتكييفها، والآثار الأسلوبية الناجمة عن ذلك التكييف- من المداخل اللسانية التداولية الضرورية لتحليل الخطاب الأدبيّ وغير الأدبيّ في سياقاته الاتصالية الحقيقية.[١]

أما مجال الدرس التطبيقيّ فقد خصصته بسور "آل حم" لأسباب، منها:

أ- القيمة الكبيرة لتلك السور عند كبار الصحابة المتصلين بالنصّ القرآنيّ، ومنهم

---

[١] انظر: النَّصّ والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعيّ، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص٣٣٤، وفي البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة- دراسة دلالية ومعجم سياقيّ، د.علي محمود الصَّراف، مكتبة الآداب، القاهرة،٢٠١٠م، ص٢٨١.

عبد الله بن مسعود في قوله: "آل حم ديباج القرآن"، وابن عباس في قوله: "إن لكل شيء لبابًا، ولباب القرآن آل حم".

ب- أنها تقرّ أصولا تناسبية في التفكر وعدم الجدال القائم على ضمور المعرفة وتضخم الهوى مع كون العربية لسانًا وليست جنسًا، وأنها تجمع بين الوعد والوعيد، والشدة والرفق، وتحمل ذكرًا لموسى وهود وصالح ولوط -عليهم السلام-، وتمزج بين عالمي الجن والإنس في سياق حواريّ وسرديّ ماتع.

ج- أن فيها أربعة وسبعين موضعًا لدراسة الاستفهام المباشر وغير المباشر في سياقاته ودلالاته وكلماته المتعددة؛ مما يعين -كثيرًا- على حسن النظر، وإمعان التدبر.[٢]

وتتمثل أسباب اختيار البحث في:

١- أهمية نظرية الأفعال الكلامية (الأفعال الإنجازية)؛ إذ تستأثر باهتمام الباحثين (علماء النفس، ونقاد الأدب، والأنثروبولوجيين، واللغويين، والتداوليّين) في جوانب النظرية العامة لاستعمال اللغة.

٢- الوقوف على مفهوم الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، واستخلاص محددات أو ضوابط كل منهما، وبيان موضع الاستفهام في تصنيفات المحدثين للأغراض الإنجازية الكبرى.

٣- وضع شروط أو ضوابط للاستفهام المباشر، وغير المباشر ذي الدلالات الإنجازية الضمنية التي ترتبط بتجدد الاستعمال اللغويّ في مختلف السياقات التداولية الاتصالية في النظرية الإنجازية.

٤- دراسة القوة الإنجازية للاستفهام في الاستعمال والتواصل من حيث: مفهومها، وعناصرها، وعلاماتها والفرق بين القوة والغرض، وإستراتيجيات تعديلها: تقويةً وإضعافًا، ووسائل تعديلها.

---

[٢] يراجع: نحو تفسير موضوعيّ لسور القرآن الكريم، محمد الغزاليّ، دار الشروق، ط٤، ٢٠٠٠م، ص٣٦٣-٣٩٤، والتفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم، عبد العظيم المطعنيّ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ٣/٤٥٢-٤٧٦، و٣/٤-١١٠.

٥- الوقوف على مفهوم القوة الإنجازية، وتنوعها، ووسائل تقوية إنجاز الاستفهام في النظم القرآنيّ ولاسيما سور آل حم-، والكشف عما يمكن أن يضيفه إلى تصور المحدثين.

٦- الكشف عن القوى التعبيرية الإنجازية المتضمنة في الاستفهام في النظم القرآنيّ- ولاسيَّما سور آل حم- وعن تفاوتها شدةً وضعفًا، ووسائل تقويتها، وسبب التعبير عنها عن طريق الاستفهام.

٧- استنباط دوافع ميل النظم القرآنيّ -لاسِيَّما في سور آل حم- إلى استعمال الاستفهام غير المباشر أكثر من المباشر، ومن ثمّ التواصل بالمقاصد غير المباشرة أكثر من المباشرة.

وقد بنيت الدراسة على استقراء شواهد الاستفهام الواردة في سور "آل حم"، ووصفها، وتحليلها؛ لتحديد مفهوم قوته الإنجازية، وأنواعها، وتفاوتها في الإنجاز، ووسائل تعديلها، وتحديد القوة الإنجازية للاستفهام المباشر، والقوى الإنجازية لغير المباشر في سور آل حم، وما تتضمنه كل منها من معنى ثانويّ.

وللبحث إطاران، أحدهما- نظريّ، والآخر- تطبيقيّ، مسبوقان بمقدمة، ومذيلان بخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.

- **المقدمة:** بينت فيها العناصر المؤسسة لعنوان البحث، وأهميته، وأسباب اختياره عامة، وجعل سور "آل حم" ميدانًا تطبيقيًّا لدراسة القوة الإنجازية للاستفهام خاصة، ومنهج الدراسة.

- **الإطار النظريّ:** قسمته مبحثين، المبحث الأول، وعنوانه- "الأفعال الكلامية بين التراثين: الغربيّ والعربيّ"، وقد بدأته بدراسة الأفعال الكلامية في التراث الغربيّ متناولا: مفهوم التداولية وعلاقتها بالأفعال الكلامية، والتعريف بالفعل الكلاميّ. واعتمدت في دراسة الأفعال الكلامية على جهود "أوستن" في المرحلة التأسيسية، و"سيرل" في مرحلة الضبط المنهجيّ. وثنيت بدراسة الأفعال الكلامية في التراث العربيّ، وتناولت فيها: باب الخبر والإنشاء بوصفه مكافئًا للأفعال الكلامية، وتقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، ثم العدول عنه إلى تقسيم الأفعال إلى أفعال إيقاعية، وأفعال إخبارية، ثم تقسيم الأفعال الكلامية العربية تقسيمًا خماسيًّا يطابق ما قدمه "سيرل"،

ويفيد من بعض ضوابطه. ثم أشرت إلى تصور العلماء العرب –من بلاغيين وأصوليين ولغويين– وإدراكهم عددًا من المفاهيم والمصطلحات الحديثة، من مثل: الفعل اللفظيّ والفعل الإنجازيّ، والأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، وأهم شروطهما أو ضوابطهما. أما المبحث الآخر فعنوانه: "الاستفهام والقوة الإنجازية"، وتناولت فيه: مفهوم الاستفهام، وعلاقته بالأفعال الكلامية، وتقسيمه إلى مباشر وغير مباشر، ومفهوم كل قسم منهما، وأهم ضوابطه وشروطه. ثم تناولت مفهوم القوة الإنجازية، والفرق بين القوة والغرض، وامتلاك الغرض الإنجازيّ الواحد قوى تعبيرية عدة، وعلامات القوة الإنجازية للفعل، وإستراتيجيات تعديل القوة الإنجازية ووسائله.

– **الإطار التطبيقيّ:** خصصته لدراسة القوة الإنجازية للاستفهام في سور آل حم، مستخلصًا مفهومها، وعناصرها، وأنواعها، وتفاوتها في إنجاز الاستفهام شدةً وضعفًا، وبعضًا من وسائل تقويته.

– **الخاتمة:** تتضمن أهمَّ ما توصلت إليه الدراسة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع، وأخيرًا فهرس المحتويات.

الإطار النظريّ

قسمت الإطار النظريّ للدراسة إلى مبحثين، الأول عنوانه: "الأفعال الكلامية بين التراثين: الغربيّ، والعربيّ"، أما الآخر فعنوانه "الاستفهام والقوة الإنجازية".

المبحث الأول– الأفعال الكلامية بين التراثين: الغربيّ، والعربيّ

أولا– الأفعال الكلامية في التراث الغربيّ

تعد التداولية Pragmatics من أبرز نظريات اتجاه عُنِي بدراسة اللغة في الاستعمال والتواصل، ودور المقام وما يتصل به من قرائن غير لفظية– بعد أن كانت دراستها شكلية معزولة عن السياقين الاجتماعيّ والثقافيّ، في ظل البنيوية Structuralism، والنحو التحويليّ التوليديّ Transformational Generative Grammar، ونحو التعلق أو التبعية Dependency Grammar.[٣] وتُعَرَّف

(٣) Helbig. G. (1990): Entwicklung der Sprachwissenschaft seit 1970, Westdeutscher Verlag GmbH. Opladen. S.179. Green, K. & Lebhan, J. (1996): Critical Theory& practice, (London/New York) p. 25f.

بأنها: "دراسة اللغة في الاستعمال in Use أو في التواصل Interaction in؛ إذ المعنى ليس شيئًا متأصِّلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، ولكنه يتمثل في "تداول" Negotiation اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما.[٤]

وقد اتفق كثير من الباحثين على أن الأفعال الكلامية Speech Acts من أهم مجالات اللسانيات التداوليّة –إن لم تكن أهمها جميعًا[٥]–، وأنها جزء أساسيٌّ من بنيتها النظرية[٦]، ونواة مركزية لكثير من بحوثها، وأساس من أكبر أسسها[٧]، ومرادفة للأفعال الكلامية في نشأتها الأولى.[٨]

ويُعَرَّفُ الفعل الكلاميّ بأنه "التصرف أو العمل الاجتماعيّ أو المؤسساتيّ الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ويراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بألفاظ معينة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة...إلخ".[٩]

وقد ركزت في تناول الأفعال الكلامية في التراث الغربيّ على جهود "أوستن" في المرحلة التأسيسية، و"سيرل" في مرحلة الضبط المنهجيّ. أما "أوستن" فقد أدخل مفهوم "القصدية" في تحليل العبارات اللغوية، وذلك حين ربط بين التراكيب اللغوية وغرض المتكلم أو المقصد العام من الخطاب. وحدد خصائص الفعل الكلاميّ بأنه:

---

(٤) Thomas. J. (1996): Meaning in Interaction. An Introduction to Pragmatics. Longman, London and New York. p. 22.

(٥) Levinson. S. C. (1983): Pragmatics. Cambridge University Press. P.226.

(٦) انظر: النَّصّ والسياق– استقصاء البحث في الخطاب الدلاليّ والتداوليّ، فان ديك، ترجمة عبد القادر قنينيّ، الدار البيضاء، دار إفريقيا الشرق، د.ت، ص٢٥٥.

(٧) انظر: التداولية عند العلماء العرب– دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللسانيّ العربيّ، مسعود صحراويّ، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م، مقدِّمة الكتاب، ص٥.

(٨) Bussmann. H. (1996): Dictionary of Language and Linguistics. Translated and edited by Trauth. G.P. and Kazzazi, K. Routledge. London& New York. P. 374.

(٩) التداولية عند العلماء العرب، مقدِّمة الكتاب، ص١٠.

دالٌّ، وإنجازيّ ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات، وتأثيريّ يترك آثارًا معينة في الواقع.[١٠] وقسم الأفعال نوعين، إخبارية constative تخبر عن وقائع العالم الخارجي، وتعرض أقوالا كالإثبات والتقرير والإعلان، ويمكن الحكم عليها قضويًّا بالصدق أو الكذب، وأدائية performative يقترن النطق بها بأداء الفعل أو إنجازه، كالوعد والتحذير والأمر، ولا توصف بصدق ولا كذب، بل تكون موفقة happy أو غير موفقة unhappy وفق مراعاة المتكلم شروط أدائها من عدمه.[١١] ويشبه هذا تقسيم الفارابيّ العبارات الكلامية إلى: عبارات القول، وعبارات الفعل.[١٢] ثم قسم "أوستن" الأفعال الأدائية إلى: صريحة Explicit، يكون الفعل فيها صريح الدلالة على الغرض الإنجازيّ، وفي صيغة المضارع المسند إلى المتكلم المفرد، المثبت، المبني للمعلوم، مثل: (أعدك أن أكون هناك)، وهو صريح الدلالة على الوعد. وأولية Primary: قد يكون الغرض الإنجازيّ للفعل مقصودًا أو غير مقصود، مثل: (سأكون هناك)، الذي قد يكون وعدًا وقد لا يكون، ويعتمد الحكم عليه بأنه أدائيّ أو غير أدائيّ على السياق. ورأى أن إدراك الأدائيات الصريحة أيسر[١٣]، وأفضل في التعبير عن المراد إنجازه؛ إذ تستخدم صيغة مباشرة ليست بحاجة إلى تأويل، وتعلن عن نفسها في كل سياق تقال فيه.[١٤]

ورأى أن الفعل الكلاميّ مركب من ثلاثة أفعال، تمثل جوانب مختلفة لفعل كلاميّ

---

(١٠) السابق نفسه: ص٨-٩، وص٤٤. ومن خصائصه: أنه فعل لفظيّ، وإنسانيّ، وقصديّ، وله معنى قابل للفهم،ومتوجه به إلى مخاطب، ومقيد، وخاضع للمواضعة، وذو طبيعة اجتماعية، وسياقية. انظر: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص٢٥-٢٦.

(١١) Austin. J. L. (1962): How to do Things with Words, Harvard University Press, P. 6.

والتحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص١٣٦-١٤٢.

(١٢) انظر: كتاب الحروف، الفارابيّ، حققه وقدم له محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م، ص١٦٢.

(١٣) Austin. J. L. (1962), P. 57.59.

(١٤) Geis, M, L. (1997): Speech act and Conversational Interaction. Cambridge University Press. P.5f.

واحد، وهي[١٥]:

١- الفعل اللفظيّ locutionary act: يتكون من النطق بأصوات لغوية، ينتظمها تركيب نحويّ صحيح، ينتج عنه معنى محدد، وهو المعنى الحرفيّ أو الأصليّ المفهوم من التركيب.

٢- الفعل الإنجازيّ illocutionary act: يقصد به ما يؤديه الفعل اللفظيّ من وظيفة في الاستعمال، مثل: النصح، والأمر، والتحذير، والوعد...إلخ.

٣- الفعل التأثيريّ perlocutionary act: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازيّ في المخاطب، سواء أكان جسديًّا أم فكريًّا أم شعوريًّا، مثل: الإقناع، والتضليل، والتخويف...إلخ.

وتتضح العلاقة بين الفعل اللفظيّ والفعل الإنجازيّ في أن اللفظيّ يتحقق في ألفاظ أو تعبيرات لغوية ذات دلالات مرجعية إحاليَّة، أما الإنجازيّ فيتحقق في ألفاظ أو تعبيرات لغوية تنطوي على قوى إنجازية تمثل القصد التداوليّ من تحقيق الفعل اللغويّ، وبهذا يكون الفعل الإنجازيّ هو الفعل الذي تبرز من خلاله معالم الاستعمال[١٦]، ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بمقصد المتكلم Speaker intention الذي يعبر عنه بالإنجاز، ويقوم بدور مركزيّ في نظرية الفعل الكلاميّ.

وصنف "أوستن" الأفعال الكلامية تصنيفًا خماسيًّا على أساس "غرضها الإنجازيّ"illocutionary Force إلى أفعال: الأحكام Verdictives، والقرارات Exercitives، والالتزام أو التعهد Commissives، والسلوك Behabitives، والإيضاح Expositives. وجعل الاستفهام من أفعال الإيضاح.[١٧]

وإجمالا فقد نبه "أوستن" إلى تحول في التفكير الفلسفيّ نحو اللغة واستعمالاتها، وأدخل في البحث الدلاليّ ضرورة الاعتماد على السياق والموقف

---

(١٥) Austin. J. L. (1962), P. 101ff. Helbig, G. (1990), S.185.

(١٦) انظر: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص٢٤، وص٤٢.

(١٧) Austin. J. L. (1962), P. 150-160.

الاتصاليّ، وربط التحليل اللغويّ بالاستعمال وليس ببنية اللغة.[١٨] وميز بين محاولة أداء الفعل الإنجازيّ والنجاح في أداء هذا الفعل، وما تعنيه الجملة وما قد يعنيه المتكلم بنطقها، وبين الصريح من الأفعال الأدائية والأوّلي منها، وحدد الفعل الإنجازيّ الذي يعد مفهومًا محوريًّا في نظرية الأفعال الكلامية.[١٩]

أما "سيرل" فقد أعاد النظر فيما قدمه "أوستن" من تصور لنظرية الأفعال الكلامية، وأجرى تعديلات وإضافات أسفرت عن ظهور نظرية منتظمة، قائمة على أن الكلام محكوم بقواعد مقصدية، محددة على أسس منهجية واضحة.[٢٠]ونصّ على أن الفعل الإنجازيّ هو الوحدة الصغرىminimal unit
للاتصال اللغويّ[٢١]، ووافقه دانيال فاندرفيكن D. Vanderveken حين ذهب إلى أن الفعل الإنجازيّ هو الوحدة الأولية للاتصال.[٢٢]

وعدَّل "سيرل" تقسيم "أوستن" الثلاثيّ للأفعال الكلامية؛ إذ أبقى على القسمين (الإنجازيّ والتأثيريّ)، وجعل (اللفظيّ) قسمين، أحدهما– النطقيّ utterance act، والآخر– القضويّ propositional act. ونصَّ على أن الفعل القضويّ يستخدم مع فعل إنجازيّ؛ لأنك لا تستطيع أن تنطق بفعل قضويّ من دون أن يكون لك مقصد من نطقه.[٢٣] وربط الفعل الكلاميّ بمراد المتكلم، والعرفين: اللغويّ والاجتماعيّ.[٢٤]

---

[١٨] انظر: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص٥٠.

[١٩] انظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م، ص٧٠–٧١.

[٢٠] السابق نفسه: ص٤٧.

[٢١] Searle. J. R. (1969): Speech Acts. An Essay in the philosophy of language. Cambridge University Press, p. 39. Leech, G & Thomas, J. (1990): Language, Meaning and context: Pragmatics, in: Collinge, N.E (ed): An Encyclopedia of Language. Routledge London and New York. p.177.

[٢٢] Vanderveken, D. (1990): Meaning and Speech Acts. Vol.1: Principles of Language, Cambridge University, Press, p.7.

[٢٣] Searle. J. R. (1969), pp. 24-25.

[٢٤] Leech, G & Thomas, J. (1990), p.177.

ثم صنف المجالات الأساسية للأفعال الكلامية على النحو الآتي: الإخباريات Assertives، والتوجيهيات Directives، والالتزاميات Commissives، والتعبيريات Expressives، والإعلانيات Declarations. وجعل الاستفهام في التوجيهيات إن كان بصورته المباشرة.(٢٥)

وخطا "سيرل" خطوةً أخرى –بعد تفريق "أوستن" بين الأفعال اللفظية والإنجازية، والإنجازية الصريحة والأولية– إذ ميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة direct illocutionary act وغير المباشرة indirect illocutionary act. ورأى أن الإنجازية المباشرة هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقًا مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول.(٢٦) ويستطيع السامع الوصول إلى مراد المتكلم من خلال إدراكه معاني الكلمات وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات في الجملة.(٢٧)

ويرى "ستانلي فش" أننا إذا وجدنا توافقًا بين التركيب والوظيفة التوصيلية في كل جملة (خبر، استفهام، أمر) فإننا نكون أمام فعل إنجازيّ مباشر.(٢٨)

أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة فيخالف غرضها الإنجازيّ الحرفيّ مراد المتكلم، ويُؤَدَّى الفعل الإنجازيّ على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازيّ آخر؛ فلو أنك قلت لصاحبك وأنتما جالسان إلى المائدة: "هل تناولني الملح؟" فإن هذا فعل إنجازيّ غير مباشر؛ إذ معناه الحرفيّ الاستفهام، وهو مصدر بالدليل الإنجازيّ illocutionary indicator "هل"، لكن الاستفهام غير مراد لك، وأنت لا تنتظر أن يجيبك صاحبك بـ"نعم" أو بـ"لا"، بل مرادك أن تطلب منه طلبًا مهذبًا أن يناولك

(٢٥) Searle. J. R. (1981), Expression and Meaning. Studies in the Theory of Speech Acts, Cambridge University Press. P.12ff.

(٢٦) Ibid, P.30.

(٢٧) Ibid, P. 117.

(٢٨) انظر: "هل يوجد نص في هذا الفصل"، ستانلي فش، ترجمة: أحمد الشيميّ، ومراجعة: أحمد بربريّ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م، ص٢٨٨.

الملح.[٢٩] وقد نبه "سيرل" إلى أن المتكلم لا يقصد ما يقول فقط، بل يتعدى قصده ما قاله إلى ما هو أكثر منه.[٣٠] وأضاف أن الأفعال الإنجازية غير المباشرة لا تدل هيئتها التركيبية على زيادة في المعنى الإنجازيّ الحرفيّ، بل الزيادة فيما أطلق عليه "سيرل" معنى المتكلم speaker meaning.[٣١]

ويُمَثِّلُ التفاوت الواضح –في أفعال الكلام غير المباشرة– بين القول والمقصد، أو بين معنى قضويّ والفعل الذي ينجزه المتكلم في السياق– إشكالية مركزية في تداولية أفعال الكلام، استطاع سيرل أن يجد حلًّا لها من خلال مبدأ "التعاون الحواريّ" conversational cooperation بين المتكلم والسامع عند جرايس، وما عند المخاطب من علم بجوانب الموضوع، وبما سمَّاه إستراتيجية الاستنتاج inference strategy عند السامع، التي تمكنه من الوصول إلى المعنى غير المباشر بعد خطوات من الاستدلال. [٣٢]

ورأى "سيرل" أن أهم بواعث استخدام الأفعال الإنجازية غير المباشرة– ولاسِيَّما ما كان استفهامًا مقصودًا به الطلب– هو التأدب في الحديث.[٣٣] وذهب غيره إلى أن أهمها: إعلاء المتكلم لذاته، ورغبة المتكلم–أحيانًا– في التملص والتهرب من مسئولية الخطاب، والاستجابة إلى الخوف، والعدول عن محاولة إكراه المتلقي أو إحراجه لإنجاز فعل قد يكون غير راغب في إنجازه، والاستغناء عن إنتاج عدد من الخطابات والاكتفاء بإنتاج خطاب واحد يؤدي معنيين، وهما– المعنى الحرفيّ، والمعنى غير المباشر.[٣٤]

ثانيًا– <u>الأفعال الكلامية في التراث العربيّ</u>

---

(٢٩) Searle. J. R. (1981), P.30. Lyons. J. (1996): Linguistic Semantics. An Introduction. Cambridge University Press. P.93f.

(٣٠) Searle. J. R. (1981).p.30.

(٣١) Ibid. p.42.

(٣٢) Ibid. pp.46, 49.

(٣٣) Searle. J. R. (1981). P. 48,
Leech, G. (1983): Principles of Pragmatics. Group limited. London. p.107.

(٣٤) انظر: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص١٣٤–١٣٧.

إن المعاني المستفادة من الأساليب العربية ودلالات"حروف المعاني" و"الخوالف"– هي التي تمثل الأفعال الكلامية في التراث العربيّ؛ لأنها ذات "دلالات" لغوية، و"إنجازات وأغراض تواصلية" ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو فردية بالكلمات، وإلى التأثير في المخاطب: بحمله على فعل أو تركه أو دعوته إلى ذلك، أو تقرير حكم، أو توكيده، أو التشكيك فيه، أونفيه، أو سؤاله عن شيء..إلخ.[٣٥]

ومن الباحثين من عدّ باب "الخبر والإنشاء" يعادل مفهوم "الأفعال الكلامية" [٣٦]، مع كونه مدخلا صحيحًا إلى نظرية عربية للأفعال الكلامية، موازية للنظريات الغربية، تأخذ منها وتعطيها في إطار مثاقفة متكافئة.[٣٧] وموضوع باب "الخبر والإنشاء" تتبع خواص تراكيب الكلام المستنبطة من التركيب والسياق الذي توظف فيه، وذلك في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان في دراسة التراكيب ذات الدلالة الحرفية أو الضمنية؛ للوقوف عليها، وتجنب الخطأ في تطبيق الكلام وفق مقتضى الحال.[٣٨]

وقد رؤي تقسيم الكلام –وَفْقَ المعنى المراد– إلى خبر وإنشاء [٣٩] ثم عدل عنه إلى: أفعال إيقاعية يكون اللفظ بها إيقاعًا لفعل، وأفعال إخبارية تصف وقائع العالم الخارجيّ أو تخبر بها. ثم أعيد النظر في هذا التقسيم، وقسمت الأفعال الكلامية العربية تقسيمًا خماسيًّا يطابق ما قدمه "سيرل"، ويفيد من بعض ضوابطه، واستبدل فيه "الإيقاعيات" و"الطلبيات" بما أطلق عليه "سيرل" (الإعلانيات) و(التوجيهيات)؛ لانسجامهما مع طبيعة الاستعمال في اللغة العربية، وذلك على النحو

---

[٣٥] انظر: التداولية عند العلماء العرب، مقدِّمة الكتاب، ص٩–١٠.

[٣٦] السابق نفسه: ص٥٠.

[٣٧] انظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، ص٨٥.

[٣٨] انظر: مفتاح العلوم، السكاكيّ، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٧م، ص١٦١.

[٣٩] انظر: الإيضاح، القزوينيّ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجيّ، دار الجيل، بيروت، ط٣، د.ت، ١٦٣/١ وما بعدها.

الآتي: الإيقاعيات، والطلبيات (ومنها الاستفهام)، والالتزاميات، والإخباريات، والتعبيريات.[٤٠]

الفعلان: اللفظيّ والإنجازيّ في تصور العلماء العرب

إن ما قصده "أوستن" بالفعل اللفظيّ، و"سيرل" بالفعل القضويّ.[٤١] هو المقصود بالكلام الذي لا ينعقد إلا بالإسناد الأصليّ، أو بنسبة تامة بين المسند والمسند إليه[٤٢]، أما ما أطلق عليه "أوستن"(الفعل المتضمن في القول)،و"سيرل"(الفعل الإنجازيّ)- فهو مقصد المتكلم عند الأصوليين.[٤٣]

وقد أدرك عبد القاهر الجرجانيّ المقصود بالفعل اللفظيّ أو القضويّ، والفعل الإنجازيّ، حين قال: "ومن أجل ذلك امتنع أن يكون لك قصد إلى فعل من غير أن تريد إسناده إلى شيء مظهر أو مقدر، وكان لفظُكَ به، إذا أنت لم تُرِدْ ذلك، وصوتًا تصوته سواء".[٤٤] وللسكاكيّ نَصٌّ واضح الدلالة على هذا الإدراك، يقول فيه: "...وأعني بالفهم فهم ذي الفطرة السليمة، مثل ما يسبق على فهمك من تركيب: (إنَّ زيدًا منطلق) إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام من أن يكون مقصودًا به نفي الشك أو رد الإنكار، أو من تركيب: (زيد منطلق) من أنه يلزم مجرد القصد على الإخبار...". [٤٥]

والحق أن علماء الأصول أدركوا ما لم يدركه "سيرل" وأستاذه؛ إذ قسَّموا الكلام الذي يحمل مقصود المتكلم -من حيث وضوح الدلالة- إلى: واضح وغير

---

[٤٠] انظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، ص٩٧-١٠٥.

[٤١] السابق نفسه: ص١٠٧.

[٤٢] انظر: شرح الكافية، رضيّ الدين الإستراباذيّ، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، بنغازيّ، ط٢، ١٩٩٦م.

[٤٣] انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشيّ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٧م، ٣٣١/٢.

[٤٤] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدنيّ بالقاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م،٥٢٧/١.

[٤٥] مفتاح العلوم، ص١٦١-١٦٢.

واضح، وقسموا الواضح إلى: محكم، ومفسر، ونص، وظاهر، وغير الواضح إلى: خفيّ، ومشكل، ومجمل، ومتشابه. وقسموا طرق الدلالة إلى الدلالة: بالعبارة، والإشارة، والفحوى، والاقتضاء.[٤٦]

الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة: تصور العلماء العرب لها، مفهومها، ومحدداتها

لعل أقرب مصطلحين بلاغيين يقابلان الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة هما– مقتضى الظاهر، وما خرج عنه.[٤٧] وقد بذل علماء المعاني والأصول واللغة جهدًا في تحديد المعاني الخارجة عن مقتضى الظاهر. أما علماء المعاني فأدركوا مفهوم الأفعال الكلامية ذات المعنى الأصليّ أو الحرفيّ إدراكًا واضحًا، وحدد عبد القاهر الجرجانيّ نظير ما أطلق عليه "سيرل" الأفعال المباشرة وغير المباشرة، حين رأى أن الكلام "ضربٌ أنتَ تَصِلُ منه إلى الغَرضِ بدلالةِ اللفظِ وحدَه، وذلك إذا قصَدْتَ أن تُخْبِر عن (زيدٍ) مثلاً بالخروجِ على الحقيقة، فقلتَ: (خرجَ زيدٌ)، وبالانطلاقِ عن (عمرو) فقلتَ: (عمروٌ منطلِقٌ)، وعلى هذا القياسِ. وضربٌ آخرُ أنتَ لا تصِلُ منه إلى الغرضِ بدلالة اللفظِ وحدَه، ولكنْ يدلُّكَ اللفظُ على معناه الذي يَقْتضيه موضوعُهُ في اللغُة، ثُمَّ تَجدُ لذلك المعنى دَلالةً ثانيةً تَصِلُ بها إلى الغَرَض. ومَدارُ هذا الأمر على "الكناية" و"الاستعارة" و"التمثيل"...".[٤٨] ثم جرَّد الجرجانيّ النوع الأول من المزية، حين قال: "وإنما تكون المزيَّة ويجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهًا آخر".[٤٩]

أما علماء الأصول فجعلوا تحت ما يطلق عليه الغربيون الأفعال المباشرة فروعًا، وحددوا المعنى الأصليّ تحديدًا دقيقًا، وبينوا أنواعه، ووضعوا لكل منها

---

[٤٦] انظر: دراسة المعنى عند الأصوليين، طاهر حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص١٢٩-١٥٧.

[٤٧] انظر: عروس الأفراح، بهاء الدين السُّبْكِيّ، تحقيق عبد الحميد هنداويّ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م ، ١/١٢١.

[٤٨] دلائل الإعجاز، ص٢٦٢.

[٤٩] السابق نفسه: ص٢٨٦.

مصطلحًا يميزه عن غيره؛ إذ أطلقوا مصطلح "المحكم" على ما يدل بألفاظه على معناه الواضح الذي لا يقبل تأويلًا ولا تخصيصًا ولا نسخًا، ومنه قوله تعالى:﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾ (النور:٤)، وهو يوافق الأفعال الحرفية أو المباشرة موافقة تامة. وأطلقوا مصطلح "المفسر" على ما يدل بألفاظه على معناه الواضح الذي لا يقبل التأويل ولا التخصيص –وإن احتمل النسخ، كقوله:﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (البقرة:٤٣)، فقد فسرت السنة مجمل كل منهما، لكن ظل له معناه الأصلي، ولا فرق بينه وبين المحكم إلا قبول النسخ.[٥٠] كما فطنوا إلى الفعل الكلاميّ ذي المعنيين المرادين، حين أطلقوا مصطلح "النص" على المقصود الأصليّ من سوق الكلام، ومصطلح "الظاهر" على المقصود تبعًا، ثم عادوا فأطلقوا مصطلح "دلالة العبارة" على المقصود أصالة أو تبعًا.[٥١]

وقسّم الشاطبيّ الدلالة إلى: أصلية– تشترك فيها جميع الألسنة، وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين، ولا تختص بأمة دون أخرى، وتابعة– يختص بها لسان العرب، وتدل على معانٍ خادمة وَفْقَ الخبر والمخبر، وَالْمُخْبَر عنه وَالْمُخْبَر به، ونفس الإخبار، في الحال والمساق، ونوع الأسلوب: من الإيضاح، والإخفاء، والإيجاز، والإطناب...إلخ.[٥٢]

وتعرّف الأفعال الكلامية المباشرة بأنها "ما يتلفظ به المتكلم في خطابه، وهو يعني حرفيًا ما يقول، وفي هذه الحالة يكون المتكلم قاصدًا أن ينتج أثرًا "إيجابيًا على المتلقي، ويقصد أن ينتج هذا الأثر من خلال جعله المتلقي يدرك قصده في الإنجاز".[٥٣] أما الأفعال الكلامية غير المباشرة فهي "إستراتيجية لغوية تلميحية يعبر بها المتكلم عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفيّ؛ لينجز بها أكثر مما يقوله؛ إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفيّ لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ

---

[٥٠] انظر تفصيل ذلك في: دراسة المعنى عند الأصوليين، ص١٢٩ وما بعدها.

[٥١] انظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، ص١١١–١١٢.

[٥٢] انظر: الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبيّ، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م، ٢/٥٧.

[٥٣] إستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٣٥.

مستثمرًا في ذلك عنصر السياق".[٥٤] كما عرفت بأنها "الأفعال ذات المعاني الضمنية التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكنَّ للسياق دخلاً في تحديدها، وتشتمل على معانٍ عرفية وحوارية".[٥٥]

ويعتمد استعمال الأفعال غير المباشرة على علاقتين، وهما- علاقة المساهمين في عملية الكلام فيما بينهم، وعلاقة القضية بالمساهمين.[٥٦] ويراعي المتكلم عند التلفظ بالأفعال غير المباشرة ما يأتي: إدراك أن معنى الخطاب الحرفيّ لن يناسب السياق، أو يعبر عن المراد، فيختار التعبير وفق أسلوب التلفظ بالأفعال الإنجازية غير المباشرة، ثم البحث عن آلية مناسبة ينتج بها خطابًا؛ ليبلغ قصده، ثم اختيار الآلية التي تؤدي المعنى المستلزم من الخطاب، والمغاير للمعنى الحرفيّ.[٥٧]

وتتعدد محددات الفعل الكلامي المباشر وغير المباشر، وأهمها:

١- السياق: نبه الأصوليون إلى أهمية المقام الذي ينبغي أن يفهم المقال من خلاله، حينما حددوا عناصر أربعة لمن يتصدى لاستخراج الأحكام من القرآن، وهي: ألا يغفل عن بعضه في تفسير بعض، وألا يغفل عن السنة في تفسيره، وأن يعرف أسباب النزول، والنظم الاجتماعية عند العرب.[٥٨] وجعله "أوستن" مميّزًا الفعل وغرضه.[٥٩] وعليه -بشقيه المقاليّ والمقاميّ- يُعْتَمد للكشف عن المعنى؛ إذ الاعتماد على المستوى المقاليّ -وحده- لا يعطي إلا المعنى الحرفيّ أو معنى ظاهر النص

---

[٥٤] السابق نفسه: ص٣٧٠.

[٥٥] التداولية عند العلماء العرب، ص٣٥.

[٥٦] انظر: تداوليات الخطاب ولسانيات السكاكيّ، أحمد الإدريسيّ، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٩٨٧م، ص١٢٤.

[٥٧] انظر: إستراتيجيات الخطاب، ص٣٨٤.

[٥٨] انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م، ص٣٤٨.

[٥٩] انظر: نظرية أفعال الكلام العامة- كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون أوستن، ترجمة عبد القادر قنينيّ، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٨م، ص٨٦.

الذي ينعزل عن كل ما يحيط بالنص من ظروف أداء المقال، والقرائن الحالية المصاحبة له.[٦٠]

والدليل على ذلك أن عدم العلم بالمعنى المقاميّ، والاكتفاء بالمعنى القضويّ- قد أدى إلى وقوع المسلمين في اللبس في فهم المراد من "الظلم" في قوله:﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] حينما قالوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ -وَهُوَ يَعِظُهُ-: (يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان: ١٣]».[٦١] وعلى الرغم من تعدد دوال التعبير عن الفعل المباشر أو غير المباشر، ومنها: الوحدات المعجمية وشبه المعجمية، والصيغ الصرفية، والأنماط النحويّة[٦٢]- فإن السياق والتأويل هما الفيصل في تحديد المباشر وغير المباشر.[٦٣]

٢- العرف اللُّغَويّ الاستعماليّ ومقصد المتكلم: هما أساسا النظرية المقامية العربية عامة، ونظرية الأفعال الكلامية خاصَّة. وقد أقام ابن خلدون حدّ اللغة عليهما في قوله: "اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لسانيّ، فلابد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم".[٦٤] ورأى الشاطبيّ أن ما جرى به العرف في استعمال اللغة أسبق من الوقوف على قصد المتكلم، وأنه إذا صحَّ له العُرْفُ بدا له المراد.[٦٥]

ويقصد بعرفية الاستعمال استعمال اللغة وفق ما تعارف إليه أبناؤها في مفرداتها وتراكيبها ودلالاتها، وما تقتضيه مقامات الكلام وأعراف الناس وأحكام

---

[٦٠] انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص٣٣٧-٣٣٩، وص٣٥٢-٣٥٣.

[٦١] صحيح البخاريّ، محمد بن إسماعيل البخاريّ، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ١٦٣/٤.

[٦٢] انظر: الدلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٨٧.

[٦٣] انظر: الأفعال الكلامية، عادل فاخوري، معهد الإنماء العربيّ، ط١، ١٩٩٨م، ص٢٥.

[٦٤] المقدمة، ابن خلدون، ضبط وشرح وتقديم: محمد الإسكندرانيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م، ص٥٠١.

[٦٥] انظر: الموافقات في أصول الشريعة، ٣٧٥/٣.

الشرع. ولقد أكد "سيرل" دور العرف في تحقيق الفعل غير المباشر، ووصوله إلى المتلقي بالصورة المطلوبة.[٦٦] إن قولنا: "هل يمكنك أن تفتح الباب؟" أو "هل يمكنني أن أدخل؟" ليسا باستفهامين على الحقيقة؛ إذ يبين لنا العرف أن الإجابة عن أحد المنطوقين ليست بـ"نعم" ولا بـ"لا"، وأن الصيغة الدالة على الإمكان (يمكنني) لا تسأل عن معلومة، لكنها علامة على الالتماس بالفعل في المنطوق الأول، وعلامة على الالتماس بالإذن في الثاني.[٦٧]

أما مقصد المتكلم فقد اهتم به الأصوليون، وفضلوه على الصيغة إذا طرأ عليها ما يخل بأدائها الإنجازيّ؛ إذ العبرة –عندهم– بالمقاصد والمعاني.[٦٨] ورأوا أن للمتكلم قصدًا محدَّدًا من كلامه، وأنه يتخذ من الوسائل الكلامية والمقامية ما يعين المخاطب على إدراك ما يريد، ويراعي تفاوت المخاطبين في فهم مقاصده.[٦٩] وحذّر "ابن القيم" من مغبة إهمال قصد المتكلم، فقال: "فإياك أن تهمل قصد المتكلم ونيته وعرفه، فتجني عليه وعلى الشريعة، وتنسب إليها ما هي بريئة منه...".[٧٠] وحدد الغزاليّ طرق فهم مراد المتكلم في: معرفة اللغة إن كان الكلام نصًّا لا يحتمل، والنظر في القرائن اللفظية والعقلية والحالية إن تطرّق إلى النصِّ احتمالٌ.[٧١] ووافقه الشاطبيّ –وغيره– حين رأى أن إدراك "مقصد المتكلم" يعتمد على فهم المعنى الأصليّ للألفاظ، والمعنى السياقيّ الاستعماليّ.[٧٢]

---

[٦٦] انظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ص١٣٣.

[٦٧] انظر: النص والخطاب والاتصال، ص٢٢٤.

[٦٨] انظر: البرهان في علوم القرآن، ٣٣١/٢.

[٦٩] انظر ذلك بالتفصيل في: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، ص٨٥–٨٩.

[٧٠] إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، ٥٣/٣–٥٤.

[٧١] المستصفى من علم الأصول، الغزاليّ، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣م، ١٨٥/١–١٨٦.

[٧٢] انظر: الموافقات في أصول الشريعة، ٢٤٣/٣.

٣- الغرض الإنجازيّ: يميز بين الأفعال المباشرة وغير المباشرة؛ إذ هو في المباشرة: ثابت، ملازم لها في مختلف السياقات، ولا يجوز أن يلغى، بل يقتصر عليه، ويتوصل إليه من تركيب العبارة نفسه، أما في غير المباشرة: فمتغير وَفْقَ السياقات، ويجوز أن يلغى، نحو الالتماس في قولك: أتذهب معي إلى المكتبة؟ ليقتصر الفعل على غرضه الإنجازيّ المباشر(الاستفهام)، ويتوصل إليه من خلال الاستدلال العقليّ.[٧٣]

٤- القوة الإنجازيّة: يعد الإنجاز في الأفعال المباشرة أقوى منه في الأفعال غير المباشرة؛ إذ للأفعال الكلامية المباشرة قوة إنجازية وضعية، حرفية أو مباشرة، وصريحة لا تحتمل التأويل، نحو: قوة الأمر في وجوب الفعل، وقوة النهي في ترك الفعل، وقوة الاستفهام في طلب الجواب عن السؤال. كما أن للأفعال الكلامية غير المباشرة قوةً إنجازيةً غير مباشرة، أو ضمنية تحتاج إلى تأويل، من مثل: القوى الإنجازية غير المباشرة للاستفهام، ومنها: التقرير، والإنكار، والتمني، والنفي...إلخ ، والقوى الإنجازية غير المباشرة للأمر، من مثل: الالتماس، والدعاء، والحث، والتحضيض، والتهديد...إلخ.

[٧٣] انظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفيّ، أحمد المتوكل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة بحوث ودراسات رقم (٥)، دار الهلال العربية الرباط، ١٩٩٣م، ص٢٢ فما بعدها، وفي البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص٩٨-٩٩.

المبحث الثاني: الاستفهام والقوة الإنجازية

الاستفهام[٧٤] فعل كلاميّ إنجازيّ، يقصد به طلب الفهم[٧٥] والعلم بشيء لم يكن معلومًا لدى المُسْتَفْهِم.[٧٦] وهو غاية من غايات الأداء اللغويّ التي تتحوَّل على المستوى النحويّ إلى التقرير أو التمني أو الإنكار...وغيرها.[٧٧] وتحدد غاية الاستفهام كونه تعاملًا أو إفصاحًا، فإذا كانت غايته طلب فهم ما يجهله السائل فهو تعامل، وإذا كانت غايته التقرير أو الإنكار –أو غيرهما– فهو إفصاح.

---

[٧٤] وسماه آخرون "الاستخبار"؛ أي: طلب الخبر أو استدعاء الجواب. انظر: جامع البيان، الطبريّ، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ٤٧١/١، ٢٦٩/٥، هامش (١)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشريّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، والبحر المحيط، أبوحيان، تحقيق صدقي جميل، دار الفكر، بيروت،١٤٢٠هـ، ٢٠٦/٩. وهناك من جعله مساويًا للاستفهام، فقال: "الاستفهام استخبار، والاستخبار: هو طلب من المخاطب أن يخبرك". دلائل الإعجاز، ١٤٠/١. أو هو "طلب خبر ما ليس عند المستخبر". الصاحبيّ، ابن فارس، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م، ص١٣٤، والبرهان، ٣٢٦/٢. وهناك من فرّق بين الاستخبار والاستفهام بأن جعل الاستخبار في مالم يفهم حق الفهم، والاستفهام أن تسأل عنه ثانيًا. انظر: الصاحبيّ، ص١٣٤، والبرهان، ٣٢٦/٢. ورؤي أن الاستخبار أعمّ من الاستفهام؛ إذ إن كل استفهام استخبار، وليس كل استخبار استفهامًا، وأنه قد يكون تنبيهًا للمخاطب وتوبيخًا ولا يقتضي جهل الْمُسْتَخْبَرِ، بخلاف الاستفهام. انظر: البرهان، ٣٣٠/٤.كما فرّقوا بين الاستفهام والسؤال، فرأوا أن الاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستفهم أو يشك فيه، أما السؤال فيجوز أن يسأل فيه السائل عما يعلم وعما لا يعلم. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكريّ، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ت، ص٢٧.

[٧٥] انظر: الأماليّ، ابن الشجريّ، تحقيق محمود محمد الطناحيّ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط١، ١٩٩١م، ٤٠٠/١، وعروس الأفراح،٤٢٣/١، والأساليب الإنشائية في النحو العربيّ، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجيّ بمصر، ط٢، ١٩٧٩م، ص٢٠.

[٧٦] انظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميدانيّ، دار القلم– دمشق، الدار الشامية– بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ٢٥٨/١.

[٧٧] غايات الأداء اللغويّ: جزء من أجزاء المقام، وقريب منها "مقتضى الحال" عند البلاغيين. والتعامل والإفصاح غايتان من أكبر غاياته، ويقصد بـ"**التعامل**": استخدام اللغة بقصد التأثير في البيئة الطبيعية أو الاجتماعية المحيطة بالفرد، ويقصد بـ"**الإفصاح**" استعمال اللغة بقصد التعبير عن موقف نفسيّ من دون إرادة التأثير في البيئة. انظر ذلك بالتفصيل في: اللغة العربية معناها ومبناها، ص٣٦٣–٣٧٢.

ويرتبط الاستفهام بالأفعال الكلامية Speech Acts؛ إذ هو معنى فرعيّ عن غرض من الأغراض الكلامية الإنجازية الكبرى، فهو من أفعال الإيضاح التي تستخدم لتوضيح وجهة النظر، أو بيان الرأي وذكر الحجة عند "أوستن".(٧٨) أي: يستوضح فيها السائل من المخاطب عن شيء غامض يجهله؛ من أجل إزالة اللبس. وهو من أفعال التوجيه؛ التي يوجه فيها المتكلمُ المخاطبَ إلى فعل شيء ما، أو التأثير فيه؛ ليفعل شيئًا ما عند "سيرل".(٧٩) وهو من الأفعال الدالة على الطلب –وفق التراث العربيّ–؛ إذ يطلب فيها المتكلم من المخاطب الجواب عن سؤال يجهله.

ويتصل الاستفهام بأقسام الفعل الكلاميّ، ولاسِيَّما اللفظيّ ذو الدلالة الحرفية والمتضمن في القول عند أوستن، أو القضويّ والإنجازيّ عند سيرل الذي يقابله مقصد المتكلم عند الأصوليين. ويمكن الإفادة من تقسيم الفعل الإنجازيّ عند "أوستن" إلى: الصريح والأوليّ، وتقسيم "سيرل" الأفعال الكلامية الإنجازية إلى: مباشرة، غير مباشرة– في تقسيم الاستفهام إلى: مباشر– يوافق مقتضى الظاهر، وذي دلالة وضعية مباشرة أو حرفية، وغير مباشر– يخرج عن مقتضى الظاهر، وذي دلالة ضمنية.

وذكر السكاكيّ أن الطلب بأنواعه –ومنه الاستفهام– قد ينتقل من معناه الأصليّ إلى المعنى المقاميّ حين يمتنع بقرائن الأحوال ومقامات الكلام– إجراؤه على الأصل، فيتولد عنه تركيب آخر في البنية الباطنة، ثم ما يلبث أن يتحول إلى البنية الظاهرة حاملاً معه المعنى المقاميّ.(٨٠) وعقد ابن قتيبة بابًا في "مخالفة ظاهر اللفظ

---

(٧٨) Austin. J. L. (1962), P. 160f.

(٧٩) انظر: إستراتيجيات الخطاب، ص٣٩٣، وآفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، ص٧٩.

(٨٠) انظر: مفتاح العلوم، ص٣٠٤. والمنحى الوظيفيّ في الفكر اللغويّ العربيّ– الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٦م، ص١٨٨–١٨٩."...أو إذا قلت لمن تراه لا ينزل: ألا تنزل فتصيب خيرًا؟، امتنع أن يكون المقصود بالاستفهام التصديق بحال نزول صاحبك لكونه حاصلاً، ويوجه بمعونة قرينة الحال إلى نحو: ألا تحب النزول مع محبتنا إياه؟ وولد معنى العرض. وكما إذا قلت لمن تراه يؤذي الأب: أتفعل هذا؟ امتنع توجيه الاستفهام إلى فعل الأذى لعلمك بحاله، وتوجه إلى ما لا تعلم ما يلابسه من نحو: أتستحسن؟ وولد معنى الإنكار والزجر، أو كما إذا قلت لمن يهجو أباه مع حكمك بأن هجو الأب ليس شيئًا غير هجو النفس: هل تهجو إلا

معناه"، واستعرض بعض الأوجه التي يخالف فيها ظاهر اللفظ معناه، ومنها أن يأتي الكلام على لفظ الاستفهام، وهو تقرير، وعلى لفظ الأمر، وهو تهديد، أو تأديب، أو إباحة...إلخ. (٨١)

الاستفهام المباشر وغير المباشر: مفهومهما، وأهم محدداتهما

يُعَرِّفُ الباحث الاستفهام المباشر بأنه "فعل كلاميّ إنجازيّ مباشر، يتوافق تركيبًا ووظيفة توصيلية، وهو غرض فرعيّ عن أفعال الطلب، له منطوق صريح، لا يحتمل التأويل، ويقصد به إنجاز المعنى الحرفيّ الذي يلازمه في مختلف السياقات؛ وهو طلب الفهم لشيء يجهله المتكلم، وله قوة إنجازية مباشرة أو وضعية، وهي الجواب عن السؤال، بأداة تمثل الدليل الإنجازيّ للاستفهام، ويطلب بها تصور أو تصديق أمر ما، نحو: الهمزة، أو تصديق أمر ما فقط، نحو: هل، أو تصور أمر ما فقط، نحو: من، وأين، وكيف، وأَنَّى...وغيرها، أو من دون أداة؛ إذ يحل التَّلوين الصَّوْتيّ -كالتَّغْنِيم والنَّبْر- محلها".

وللاستفهام المباشر محددات وضوابط يجب توافرها، من أهمها- عنصر الزمان؛ أي أن يكون المستفهم عنه غير حاصل وقت الطلب-في اعتقاد المتكلّم.(٨٢) ومنها- أن يكون طلبًا يهم المستفهم، ويعنيه شأنه.(٨٣) ومنها- أن يكون مُوَجَّهًا إلى

نفسك؟ أو غير نفسك؟ امتنع إجراء الاستفهام على ظاهره لاستدعائه أن يكون الهجو احتمل عندك توجهًا إلى غيره، وتولد منه بمعونة القرينة الإنكار والتوبيخ. أو إذا قلت لمن يسئ الأدب: ألم أؤدب فلانًا؟ امتنع أن تطلب العلم بتأديبك فلانًا وهو حاصل، وتولد منه معنى الوعيد والزجر. أو كما إذا قلت: لمن بعثت إلى مهمة وأنت تراه عندك: أما ذهبت؟ بعُد امتناع الذهاب عن توجه الاستفهام إليه لكونه معلوم الحال، واستدعى شيئًا مجهول الحال مما يلابس الذهاب، مثل: أما يتيسر لك الذهاب؟ وتولد منه الاستبطاء والتحضيض، أو إذا قلت لمن يتصلف وأنت تعرفه: ألا أعرفك؟ امتنعت معرفتك به عن الاستفهام، وتوجه إلى مثل: أتظنني لا أعرفك؟ وتولد منه الإنكار والتعجب والتعجيب، أو كما إذا قلت لمن جاءك أجئتني؟ امتنع المجئ عن الاستفهام، وولد بمعونة القرينة التقرير". مفتاح العلوم، ص٣٠٤.

(٨١) انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، المكتبة العلمية، د.ت، ص٢٧٥.

(٨٢) انظر: مفتاح العلوم، ص٣٠٢.

(٨٣) السابق نفسه: ص٣١٧، ودراسات في نحو اللغة العربية الوظيفيّ، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦م، ص٩٩.

المخاطب؛ لأنه إن احتمل توجهه إلى غيره امتنع إجراؤه على ظاهره[٨٤]، ومنها- عنصر الإمكان؛ إذ بإمكان المسؤول الإجابة عن السؤال الموجه إليه؛ لمعرفته إياها.[٨٥] ومنها- اعتماده على عنصر الإرادة الذي يتضح في انتظار المتكلم إجابة السامع عن سؤاله؛ لعدم إدراكه الحقيقيّ لها.[٨٦] ومنها- أن يكون غرضه الإنجازيّ ثابتًا لا يتغير باختلاف السياقات، ولا يجوز أن يلغى، لكن يقتصر عليه، ويتوصل إليه من تركيب العبارة نفسه. ومنها- أنه ذو قوة إنجازية وضعية، أو حرفية أو مباشرة، أو صريحة لا تحتمل التأويل. ومنها- أن يكون جوابه مذكورًا. ورأى الفارابيّ وجوب أن يكون فحوى الجواب قوليًّا، خلافًا للأمر والنهي اللذين يقتضيان جوابًا فعليًّا.[٨٧]

ويعرِّف الباحث الاستفهام غير المباشر بأنه "فعل كلاميّ إنجازيّ غير مباشر، لا يتوافق تركيبًا ووظيفة توصيلية؛ إذ تدل هيئته التركيبية على معنى لا يقصده المتكلم، فيخرج عن مقتضى الظاهر أو المعنى الحرفيّ؛ لينجز أغراضًا أو معاني-عند البلاغيين-، أو"وظائف تواصلية إبلاغية" بتعبير الوظيفيين، أو "أفعالا متضمنة في القول" وناتجة عن الأصل بتعبير التداوليين، أو رسائل موجهة إلى المخاطب، من مثل: الإنكار عليه، أو تقريره، أو توبيخه وتقريعه، تتنوع تبعًا لاختلاف السياقات، ومصدرة بالدليل الإنجازيّ، من مثل: الهمزة، وهل، ومن، وكيف..إلخ أو من دون أداة؛ إذ يحل التلوين الصوتيّ (كالتنغيم والنبر) محلها. وله قوة إنجازية غير مباشرة تتفاوت شدة وضعفًا، وتتضمن معنى ثانويًّا".

وللاستفهام غير المباشر محددات وضوابط يجب توافرها، منها- السياق. ومنها- قصد المتكلم من الخطاب؛ إذ لا ينتظر جوابًا عن سؤاله، ومنها- قدرة المُخَاطَب على فهم قصد السائل. ومنها- ألا يكون الاستفهام متعلِّقًا بالمستقبل، وألا

---

[٨٤] انظر: مفتاح العلوم، ص٣٠٤.

[٨٥] انظر: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، أحمد حسام قاسم، دار النصر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٢٩.

[٨٦] انظر: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص١١٣.

[٨٧] انظر: كتاب الحروف، ص١٦٢-١٦٤.

تكون إجابة السؤال في إمكان المسؤول–ولو من وجهة نظر السائل على الأقل.[٨٨] ومنها– حذف الجواب، وجواز ذكره إن دلَّ على حقيقة لا عمل للخيال في تصورها أو تصويرها. ومنها– أن غرضه الإنجازيّ متغير وَفْقَ السياقات، ويجوز أن يلغى، ويتوصل إليه من خلال الاستدلال العقليّ. ومنها– أنه ذو قوة إنجازية غير مباشرة، أو ضمنية، تحتاج إلى التأويل، وتتفاوت شدة وضعفًا، وتتضمن معنى ثانويًّا. ومنها– تضمنه الفعل الإنجازيّ المباشر؛ لكونه محوّلًا عنه.[٨٩] ومنها– "مبدأ اللزوم" الذي يعد عند الأصوليين قرينة هادية إلى "المعنى الفرعيّ".[٩٠]

القوة الإنجازية

القوة الإنجازية illocutionary force جزءٌ من البنية الدلالية للفعل الكلاميّ الإنجازيّ[٩١]، وتعرف بأنها "الشدة أو الضعف اللذان يعبر بهما عن غرض إنجازيّ بعينه، في موقف اجتماعيّ بعينه، أيًّا كان هذا المؤشر أو العلامة الدالة على تلك القوة، وإذا كان لكل من الشدة والضعف درجات متفاوتة، وصفت القوة الإنجازية بأنها نسبية".[٩٢]

وقد التفت أبو هلال العسكريّ إلى تفاوت درجة القوة في الفعل الإنجازيّ– حينما أشار إلى أن الثناء أقوى من المدح؛ لأنه مدح مكرر، والسبّ أقوى من الشتم؛ لأن السب هو الإطناب في الشتم والإطالة فيه...والجور أقوى من الظلم؛ لأن الظلم

---

[٨٨] انظر: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، ص١٢٩، وفي البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص١٨٠.

[٨٩] Helbig. G. (1990), S.200.

[٩٠] ينصرف الذهن عن طريق اللزوم إلى معانٍ سياقية للاستفهام عندما يحصل له اقتناع بأن المعنى الحقيقيّ غير مراد. ومن ثم فإن طلب فهم شيء معلوم، ولكنه مستهجن أو غير واقع، يستلزم إنكاره أو توبيخه وتقريعه أو نفيه، وطلب فهم شيء قد استقر عندك يستلزم حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف به، وطلب فهم شيء لا إمكان لوقوعه يستلزم التمني، وطلب فهم شيء لا قدرة عليه يستلزم التعجيز.

[٩١] انظر تفصيل ذلك في: نظرية أفعال الكلام العامة، ص٧٣ فما بعدها، والنص والخطاب والاتصال، ص٢٢١–٢٢٢.

[٩٢] النص والخطاب والاتصال، ص٢٢٢–٢٢٣، و٢٣٠–٢٣١.

نقصان الحق، والجور: العدول عن الحق، والفزع أقوى من الخوف؛ لأنه خوف مفاجئ.[٩٣] ورتب الثَّعَالبيّ بعض الأفعال ذات الغرض الإنجازيّ الواحد من حيث درجة شدتها، فقال: "أَوَّل مَرَاتِبِ الحُبِّ الهَوَى، ثُمَّ العَلاَقَةُ؛ وهي الحُبُّ اللاَّزِمُ للقَلْبِ، ثُمَّ الكَلَفُ؛ وهو شِدَّة الحُبِّ، ثُمَّ العِشْقُ؛ وهو اسْم لِمَا فَضَلَ عَنِ المِقْدَارِ الذي اسْمُهُ الحُبُّ، ثُمَّ الشَعَفُ؛ وهو إِحْرَاقُ الحُبِّ القلْبَ مَعَ لَذَةٍ يَجِدُها... ثُمَّ التَّيْمُ وهُوَ أَنْ يَسْتَعْبِدَهُ الحُبُّ..ثُمَّ التَّبْلُ ، وهُوَ أَنْ يُسْقِمَهُ الهَوَى..ثُمَ التَدْلِيهُ ، وهُوَ ذَهَابُ العَقْلِ مِنَ الهَوَى..ثُمَّ الهُيُومُ ، وهُوَ أَنْ يَذْهَبَ عَلَى وَجْهِهِ لِغَلَبَةِ الهَوَى عَلَيهِ".[٩٤]

الفرق بين القوة والغرض

خلط "أوستن" بين مفهومي القوة والغرض؛ إذ استعمل مصطلح القوة (Force) بمعنى الغرض أو الغاية (Purpose) من الفعل الكلاميّ.[٩٥] في حين عَدَّ "سيرل" الغرض الإنجازيّ أهم عناصر القوة الإنجازية، فالغرض الإنجازيّ للالتماس هو نفسه الغرض الإنجازيّ للتوسل؛ لأن كلًّا منهما محاولة لجعل المتلقين يفعلون أشياء محددة، ولكن القوة الإنجازية بينهما تختلف اختلافًا بيِّنًا.[٩٦]

لقد عَدَّ "سيرل" القوة الإنجازية بعدًا من أبعاد التمييز بين الأفعال الإنجازية وأغراضها، وأشار إلى أهمية فهم المعنى الدلاليّ والوظيفيّ للمنطوق في الفصل بين درجات قوة الفعل الإنجازيّ؛ إذ المعنى محدِّد من محددات القوة الإنجازية بمعاونة السياق وعناصره. في حين رأى محمد العبد أن القوة الإنجازية بعد من أبعاد التمييز بين الأغراض الإنجازية الفرعية لغرض إنجازيّ أكبر واحد، فالاقتراح والإصرار فعلان إنجازيان فرعيان عن غرض إنجازيّ واحد رئيس؛ هو الغرض الإخباريّ، بيد أن

---

[٩٣] انظر: الفروق اللغوية، ص٥١، وص٥٢، وص٥٤، وص٨٥، وص٢٣١، وص٢٤٢.

[٩٤] فقه اللغة وسر العربية، الثعالبيّ، تحقيق عبد الرزاق المهديّ، إحياء التراث العربيّ، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ص١٢٩.

[٩٥] انظر: النص والخطاب والاتصال، ص٢٢٧.

[٩٦] انظر: نظرية أفعال الكلام العامة، ص٩٩، و١٤٥، و١٤٨، و١٥١، وآفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفيّ، ص٢٢-٢٣.

درجات القوة بينهما مختلفة.[٩٧]

إن قوة الفعل الإنجازيّ جزء مكمل لمعناه، وهذا يعني أن المعنى أوسع من القوة؛ لأنه يضم القوة والمحتوى القضويّ في آن معًا. واللافت أن استعمالات اللغة غير محدودة من جهة القوة الإنجازية، بل من جهة الغرض الإنجازيّ الذي حصره "سيرل" في خمسة أغراض.[٩٨]

وخلاصة القول إن القوة والغرض عنصران مكملان للمعنى، وإن القوة درجة والغرض وظيفة، مثل: (أفعال التوجيه) التي تتعدد أغراضها الفرعية، كالأمر والالتماس والعرض والتحضيض وغيرها. ولكل غرض فرعيّ درجات متفاوتة من القوة وَفْقَ سياقات الاتصال. ويعتمد تفسير كل من الغرض الإنجازيّ والقوة الإنجازية على الصيغة اللغوية للمنطوق، والسياق والمعنى.[٩٩]

وإذا كان "أوستن" قد رأى أن قوة المنطوق الإنجازية تحقيق لمقصد المتكلم تحقيقًا ناجحًا، فقد خالفه "سيرل" حين رأى أن القوة تفسير المستمع للمنطوق، وما يعمد إليه لا ما يقصده المتكلم؛ إذ لا يمكن أن يتأكد أحد المتلقين أو محللو الخطاب من مقصد المتكلم؛ لأنه لا يقبل الفحص، أما تفسير المتلقي فيتجلى في استجابته، وهذا ما يحدد تقدم التفاعل اللغويّ أو نجاحه.[١٠٠]

وحدد "أوستن" وسائل القوة الإنجازية للفعل في: الصيغة وما يعاضدها من أفعال مساعدة، نحو قولنا: "أَغْلِقِ البَابَ" التي تضاهي "آمرك"، و"أغلق الباب" إذا أردت تضاهي "آذن لك"، ونغمة الصوت أو التنغيم والتفخيم: وتختلف نغمة التحذير عن نغمة السؤال أو الاعتراض...إلخ، وأشباه الجمل (ظروف الزمان والمكان): ويقصد بها تكييف المنطوق، مثل تكييف قوة "سوف أفعل" بإضافة "من المحتمل"، أو تكييف قوة النهي بالظرف، مثل: "لا تنس أبدًا"، وأدوات الربط بين الجمل: مثل "من

---

[٩٧] انظر: النص والخطاب والاتصال، ص٢٢٧.

[٩٨] السابق نفسه: ص٢٢٨.

[٩٩] السابق نفسه: ص٢٢٧-٢٢٨، وص٢٧٣، وفي البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص٢٦٧-٢٦٨.

[١٠٠] انظر: النص والخطاب والاتصال، ص٢٢٣.

أجل ذلك التي تستخدم في قوة "استنتج"، و"على الرغم من ذلك" التي تستخدم في قوة "أسلم بأن"، ومصاحبات المنطوق (الحركة الجسمية)، نحو: إشارة الإصبع، أو غمزة العين...إلخ. وملابسات المنطوق: التي تحدد الغرض، فالأمر يكون أمرًا، أو إذنًا، أو عرضًا، أو التماسًا، أو توسُّلًا، أو اقتراحًا، أو توصية...إلخ.[١٠١]

تعديل القوة الإنجازية Modifying illocutionary Force

للمتكلم أن يعدل منطوقه وفق مقصده في سياق معين عن طريق اختياره درجة الشدة أو الضعف المناسبة لقوة فعله الإنجازيّة[١٠٢]؛ إذ يضيف إلى المعاني قوة إنجازية ترسخ المعنى في ذهن المتلقي،

كما يمكن أن يتعمد المتكلم عدم إيضاح مقدار قوة المنطوق الإنجازية، ويجعلها غامضة حتى لا يتورط بالتزامات تجاه المتلقي.[١٠٣] وهناك سببان يدفعان المتكلم إلى تعديل قوة الفعل الإنجازيّ، هما–نقل المعنى المرتبط بالمتكلم وتصرفاته إزاء القضية التي يعبر عنها، والتعبير عن معنى تأثيريّ affective meaning، أو عن سلوك المتكلم تجاه المتلقي في سياق المنطوق.[١٠٤] ويرتبط التعديل بإستراتيجيات الاتصال التي تتنوع من حالة إلى أخرى، وبغرض المتكلم الذي يحدد الطريقة التي يتكلم بها، بصورة تطابق فيها الوسائل المستخدمة الأثر المستهدف، وتعبر عنه بالشكل المطلوب؛ لإتمام الاتصال ووصول الرسالة.

إستراتيجيات التعديل: لتعديل قوة الإنجاز إستراتيجيتان، هما– التقوية التي تهدف إلى زيادة قوة المنطوق أو تعزيزها، والإضعاف الذي يهدف إلى تخفيف قوة المنطوق.[١٠٥]

وسائل تعديل القوة: تتمثل في وسيلتين، أولاهما– لغوية، والأخرى– غير لغوية. ومن الوسائل اللغوية عند "أوستن": صيغة الفعل، والنبر ونغمة الصوت، والظروف

---

[١٠١] السابق نفسه: ص٢٢٨–٢٢٩.

[١٠٢] السابق نفسه: ص٢٣١.

[١٠٣] انظر: التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، ص٢١٥.

[١٠٤] انظر: النص والخطاب والاتصال، ص٢٣٥.

[١٠٥] انظر: التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، ص٢١٥.

النحوية، وأدوات الربط بين العبارات[١٠٦] وعد "سيرل" نظام الجملة، والنبر Stress، والتنغيم Intonation، وعلامات الترقيم Punctuations، وصيغة الفعل mood، وما يسمى الأفعال الأدائية– من الوسائل المؤثرة في قوة المنطوق الإنجازية في اللغة الإنجليزية.[١٠٧] وتتمثل الوسائل غير اللغوية في مصاحبات القول، من مثل: تعبيرات الوجه، وحركات الرأس واليد، وغمز العين...إلخ. وقد جمع ابن جني بين الوسائل التي تقوي الفعل أو تضعفه، لغوية وغير لغوية، حين ذكر منها– النبر والتنغيم، وحركات الجسم، وتعبير الوجه، ونظرة العين.[١٠٨]

وكان علماؤنا على وعي بأن قصد المتكلم الذي تعبر عنه الأفعال الإنجازية يتغير قوة وضعفًا بتغير الموقف الكلاميّ، وطبيعة العلاقة بين المتكلم والمخاطب، فالطلب يتفاوت شِدَّةً ولينًا؛ إذ يكون أمرًا على سبيل الاستعلاء يوجب الطاعة، ويكون التماسًا بين متساويين في المنزلة، ويكون دعاء من الأدنى إلى الأعلى.[١٠٩] والأمر أقوى إنجازًا من الالتماس؛ إذ خيار المتلقي في التنفيذ مع فعل الأمر يكون ملزمًا بصورة تفوق خياره في الالتماس. ويكون هذا الطلب قويًّا حين يستخدم المتكلم أفعال التحضيض (طلب بـ"حث وإزعاج")، وأقل قوة حين يستخدم المتكلم أفعال العرض (طلب برفق ولين).[١١٠]

<u>وسائل تقوية الفعل وإضعافه</u>: تتعدد وسائل التقوية، ومنها– وسائل التشكيل الصوتيّ (نحو: النبر، والتنغيم، وغيرهما)، والوسائل المعجمية، وتشمل مقويات موجهة إلى: المتكلم، والمتلقي، والمحتوى الإنجازيّ، والوسائل التركيبية، ومنها– القالب التركيبيّ الاستفهاميّ، والوسائل الخطابية، ومنها– تعيين الفعل الإنجازيّ، والتكرار، والعلامات

---

[١٠٦] انظر: نظرية أفعال الكلام العامة، ص٩٣.

[١٠٧] Searle. J. R. (1969), p. 39.

[١٠٨] انظر: الخصائص، ابن جنيّ، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، ط٣، ١٩٨٧م، ٢/٣٧٢-٣٧٣.

[١٠٩] انظر: مفتاح العلوم، ص٣١٨-٣١٩.

[١١٠] انظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربيّ، ص١٤ وما بعدها، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص١٠٩.

أو الأدوات الرابطة. وتعرف إستراتيجية الإضعاف من الوسائل ما عرفته إستراتيجية التقوية نوعًا، وتختلف من حيث الكيفية، وتتمثل في: وسائل التشكيل الصوتيّ، والوسائل المعجمية، وتشمل مضعفات موجهة إلى المتكلم، والمتلقي، والمحتوى الإنجازيّ، والوسائل التركيبية، ومنها الإضعاف أو التلطيف بأنماط من الاستفهام الإنجازيّ غير المباشر،والوسائل الخطابية.[١١١]

الدراسة التطبيقية

القوة الإنجازية للاستفهام في سور آل حم

القوة الإنجازية للاستفهام نوعان، أحدهما– مباشرة أو وضعية؛ وهي الجواب عن سؤال يجهله المتكلم، والآخر– غير مباشرة أو ضمنية، تعبر عن فعل إنجازيّ غير مباشر، له معنى حرفيّ يخالف مراد المتكلم، وهي قوة متفاوتة شدة وضعفًا؛ إذ تعتمد على وسائل لتعديلها، وتتضمن معنى ثانويًّا.

وقد عُدَّ الاستفهام المباشر أقوى إنجازًا من الاستفهام غير المباشر؛ إذ هو – بهذه الصورة– وسيلة تركيبية من وسائل تقوية الإنجاز عند أوستن[١١٢]، ذات صيغة صريحة ومحددة، وتعلن عن نفسها في كل سياق تقال فيه، ولا تحتاج إلى التأويل، وتضيف قوة إلى قوة المنطوق الإنجازية، كما أن المتكلم يحاول فيه أن يفرض رأيه أو رغبته على المتلقي، وذلك بالجواب عن سؤال يجهله. خلافًا للاستفهام غير المباشر الذي رؤي أنه بهذه الصورة وسيلة تركيبية من وسائل إضعاف القوة الإنجازية أو تلطيفها، ولاسِيَّما إن كان غرضه العرض أو الاقتراح. فضلًا عن أن المتكلم فيه لا يحاول أن يفرض رأيه أو رغبته على المتلقي؛ إذ لا ينتظر منه الإجابة عن سؤاله. بل يهدف إلى إبلاغه رسائل ضمنية غير صريحة، تعتمد على قدرة المخاطب على التأويل، وما تطرق إليه التأويل –في المعاني المتضمنة– لا ينبغي عليه التعويل.

ولما كانت التعبيرات ذوات المعنى لا تعتمد على قالب لغويّ أساسيّ واحد– فقد

---

[١١١] انظر: النص والخطاب والاتصال، ص٢٤١–٢٦٠.

[١١٢] انظر: نظرية أفعال الكلام العامة، ص٨٦.

تمت صيغ التركيب الاستفهاميّ –في سور آل حم– في أكثر من قالب لغويّ؛ إذ استفهم بالدليل الإنجازيّ عن الاسم أو الجملة الاسمية، وكذلك عن الفعل أو الجملة الفعلية.

أولا– الاستفهام المباشر في سور آل حم

ورد في سور آل حم في موضعين فقط، في قوله:﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤٧]، وقوله: ﴿مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشورى:٥٢] مصدرين بالدليلين الإنجازيّين "هل" للتصديق في الموضع الأول، و"ما" للتصور في الموضع الثاني. وكلتا الآيتين لها قوة إنجازية وضعية، أوحرفية أو مباشرة، وهي صريحة لا تحتمل التأويل؛ ومطابقة مطابقة حرفية لمراد المتكلم، وهو الجواب عن سؤال الأتباع كبراءهم أن يتحملوا عنهم نصيبًا من العذاب في الآية الأولى، والجواب عن ماهية القرآن وحقيقة الإيمان في الثانية.

وذكر جواب الأولى متضمنًا معنى النفي، ومصدَّرًا بالقول في ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ﴾[غافر:٤٨] ، وكذلك ذكر جواب الثانية مستفادًا ضمنيًّا من قوله –قبل–: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ ومن قوله–بعد–:﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾.

وفي إيثار الدليل الإنجازيّ "هَلْ"، والإتيان بالجملة الاسمية ﴿أَنتُم مُّغۡنُونَ﴾ تقوية لإنجاز الاستفهام الحقيقيّ؛ إذ تدل "هَلْ" على شدة رغبة الضعفاء في تحقيق رجاءاتهم من الرؤساء. أما اسمية الجملة ﴿أَنتُم مُّغۡنُونَ﴾ فترجمة لما ما في نفوس الضعفاء من وجوب تحمل رؤسائهم ما يخفف عنهم العذاب تحملا مستمرًا، لا انقطاع فيه.

ثانيًا– الاستفهام غير المباشر

اختُصَّ النَّظْمُ القرآنيّ في سور آل حم بعدد وافر من شواهد الاستفهام غير المباشر؛ إذ بلغت تسعة وستين موضعًا. وتصدرته الأدلة الإنجازيّة: الهمزة، وهل، ومن، وما، وكيف، وأين، وأيّ، وأنّى. وقد توصل "سيرل" –في تحليله أفعال الكلام غير المباشرة– إلى أن المنطوق الواحد يمثل قوتين إنجازيتين؛ إذ يؤدي فعل إنجازيّ

أداء غير مباشر، عن طريق أداء فعل آخر.[١١٣]

ولقد وجدتني –باستقراء آراء المفسرين والبلاغيين واللغويين– أمام عدد كبير من الأغراض والدلالات المجازية للاستفهام غير المباشر –بلغت أكثر من خمسين–، وهي: الإنكار، والتوبيخ، والتقريع، والتهكم، والتهديد، والتكذيب، والتقرير، والتكبر، والافتخار، والإفحام، والوعيد، والتخويف، والإلزام بالحجة، والتنبيه، والتجهيل، والتشنيع، والاستبعاد، والنصح، والتبصير والإرشاد، والنفي، والتعجيز، والاستحالة، والتنديم، والاغترار بالقوة، والاعتداد بالنفس، والرجاء، والتهويل والتفظيع، والتوقيف، والتثبيت، والتقنيط والتيئيس، والذم والتحقير، والتعجيب، والرمي بالغفلة والبلادة والسفه، والاستهزاء، والسخرية، والتسفيه، والتبكيت، والاستعطاف، والتمني، والتحسر والتندم، والوعد، والحث، واستدراج المخاطب إلى الاعتراف ، وتسلية النبيّ، والعتاب. وقد رددت كثيرًا منها، لاعتبارات، منها– ما شاب بعضها من تعميم، أو عدم مناسبة للسياق، أو كونها معنى ثانويًّا، ومن ثم يحتاج إلى إعادة التوظيف. وقد توصلت من خلال استقراء آراء المفسرين والبلاغيين واللغويين، واستقراء النصوص القرآنية– إلى حصر القوى الإنجازية للاستفهام غير المباشر في سبع قوى إنجازية –فقط–، هي– التقرير، والإنكار، والنفي، وإثارة النشاط الذهني من أجل أمرية "أَخْبِرْنِي"، والتمني، والتعجيب، والاستحالة.

والاستفهام –بهذه الصورة– فعل كلاميّ إنجازيّ غير مباشر؛ إذ معناه الحرفيّ الاستفهام، وهو غير مراد، وتخالف قوته الإنجازية الحرفية قوته الإنجازية غير الحرفية التي هي مراد المتكلم، وهي قوى إنجازية غير مباشرة تحكمها ضوابط، من أهمها– السياق، والعرف اللغويّ، وقصد المتكلم، وصيغة الفعل، والتركيب النحويّ، وقدرة المخاطب على الاستدلال، ومصاحبات الكلام...إلخ.

١– التقرير: قوة إنجازية غير مباشرة، وأساسية؛ لإقرار المخاطب بما يريد المتكلم، تتضمن معنى ثانويًّا، وقد تصدر بالدليلين الإنجازيّين "الهمزة" و"من"، وأتي المقرر به بعدهما، سواء أكان فعلًا أم اسمًا.

---

[١١٣] انظر: النص والخطاب والاتصال، ص٢٢٥.

ومن شواهد المقرر به الفعل المضارع المنفيّ بـ"لم": ما جاء بالدليل الإنجازيّ "الهمزة" المتلوة بالعاطف الواو أو الفاء، نحو الاستفهام في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [غافر:٢١] وهو فعل إنجازيّ غير مباشر، ومعناه الحرفيّ يخالف مراد المتكلم؛ وهو الاستفهام عن سير مشركي العرب في الأرض. وقوته الإنجازية غير المباشرة (مراد المتكلم) هي تقرير السير والرؤية من دون انتفاع بما عاينوا.(١١٤) وتتضمن معنى ثانويًّا؛ وهو الرمي بالغفلة.(١١٥) ومثله قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [غافر:٨٢] وقوته الإنجازية التقرير(١١٦)، وتتضمن تقريع مشركي مكة.(١١٧) وتعد شبه الجملة ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في الموضعين من وسائل تقوية إنجاز التقرير؛ إذ تشير إلى تمكنهم في سيرهم من معرفة أحوال الهالكين من الأمم السابقة.

أما الاستفهام في قوله: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر:٥٠] فمعناه الحرفيّ غير مراد المتكلم؛ هو الاستفهام عن إنزال الرسل على أقوامهم بالبينات. وقوته الإنجازية تقرير الملائكة أهل النار بسوء صنيعهم بأنفسهم؛ إذ لم يتبعوا الرسل لما أبلغوهم بما أنزل الله إليهم.(١١٨) وتتضمن إلزامهم الحجة.(١١٩) وإيثار الجملة الفعلية المضارعية (تَكُ) على الاسمية فيها استحضار لصورة الإتيان؛ مبالغة في توكيد التقرير والإلزام. كذلك في جوابهم واعترافهم ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [غافر:٥٠] تقوية لإنجاز التقرير.

---

(١١٤) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ١١٩/٢٤.

(١١٥) انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ٤٥٦/٣.

(١١٦) انظر: فتح القدير، الشوكانيّ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ٤٠٨/٤.

(١١٧) انظر: روح المعاني، الألوسيّ، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ٣٤٧/١٢.

(١١٨) انظر: البحر المحيط، ٢٦٤/٩.

(١١٩) انظر: الكشاف، ١٧٢/٤، والتفسير الكبير، ٥٢٢/٢٧، والبحر المحيط، ٢٦٤/٩، وروح المعاني، ٣٢٩/١٢.

أما في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] ففعل إنجازيّ غير مباشر، ومعناه الحرفيّ غير مراد المتكلم؛ هو الاستفهام عن علم عاد بأن الله أشد قوة منهم، وتتمثل قوته الإنجازية في تقرير علمهم(١٢٠)، وتتضمن التوبيخ.(١٢١) وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣] معناه الحرفيّ الاستفهام عن كفاية شهادة الله بصدق النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وصدق ما نزل به، وقوته الإنجازية تقرير كفاية شهادة الله على صدقه، وصدق ما نزل به، وتتضمن الوعد بتجلية الحق، ونصرته، وإقامة الحجة على المعاندين. (١٢٢) وقوله: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الجاثية:٣١] معناه الحرفيّ غير مراد المتكلم؛ هو الاستفهام عن إعراض الكافرين وقت تلاوة آيات الله عليهم. وقوته الإنجازية تقرير الإعراض(١٢٣)، وتتضمن التوبيخ.(١٢٤) وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣] معناه الحرفيّ الاستفهام عن قدرة الله على إحياء الموتى، وقوته الإنجازية تقرير المشركين على قدرته على إحياء الموتى، وتتضمن توقيفهم على خلقه السماوات والأرض.(١٢٥)

ويقوي التركيب النحويّ إنجاز التقرير في ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾[غافر:٢١]، و ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾[غافر:٨٢]، و ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [غافر:٥٠] و ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥]، و ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣]، و ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الجاثية:٣١] ، و ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ

(١٢٠) انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ٨/٤.

(١٢١) انظر: فتح القدير، ٥٨٥/٤، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٨/٤.

(١٢٢) انظر: التحرير والتنوير، ٢٠/٢٥، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٢٥/٤-٢٦.

(١٢٣) انظر: التحرير والتنوير، ٣٧١/٢٥، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ، ٧٩/٤.

(١٢٤) انظر: البحر المحيط، ٤٢٥/٩، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود العماديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت، ٧٥/٨.

(١٢٥) انظر: البحر المحيط، ١١٧/٧، و٤٥١/٩.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣]؛ إذ مذهب سيبويه والجمهور –خلافًا لرأي الزمخشريّ–[١٢٦] أن الهمزة مقدمة من تأخير؛ تنبيهًا على أصالتها في التصدير، والتقدير: (وألم يسيروا– فألم يسيروا– وألم تك– وألم يكف– فألم تكن– وألم يروا "في الموضعين")، ودخلت الهمزة على الفعل المضارع المنفيّ بـ"لم"، فنفت النفي الحاصل بـ"لم"، فعاد الكلام إثباتًا. وإيثار المضارع في ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ ﴾، و ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ﴾، و ﴿أَوَلَمۡ تَكُ﴾ ، و ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ﴾ ، و ﴿أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ يدل على تجدد السير في الأرض وتكراره، وإتيان الرسل بالبينات لأقوامهم، وشهادة الله على صدق النبيّ وصدق ما نزل به، وتلاوة آيات الله على الكافرين– ودوامها. ويدل إيثار المضارع في ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ ﴾ –في الموضعين– على ثبات علمهم بأن الله أشد من المشركين قوة، وقدرة على إحياء الموتى.

وقد يأتي المقرر به بعد الهمزة الداخلة على الجملة المضارعية المنفية بـ"لم" من دون العاطف، نحو قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [غافر:٦٩] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن مجادلة المشركين في آيات الله، وقوته الإنجازية تقرير العلم بمجادلتهم[١٢٧]، وتتضمن التعجيب من أحوالهم.[١٢٨]

وقد يأتي المقرر به بعد الهمزة جملة اسمية منسوخة بـ"ليس"، نحو قوله: ﴿أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ [الزخرف:٥١] للاستفهام عن أحقية فرعون بملك مصر، وقوته الإنجازية تتمثل في انتزاع فرعون إقرار قومه بملكيته مصر.[١٢٩] وتتضمن تكبر

---

[١٢٦] انظر في تقرير المذهبين: الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م، ١٨٧/٣–١٨٩، ومغني اللبيب، ابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥، ٢٢–٢٣، وهمع الهوامع، السيوطيّ، تحقيق: عبد الحميد هنداويّ، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت، ٥٨٢/٢–٥٨٣، وحاشية الصبان على شرح الأشمونيّ، الصبان، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ –١٩٩٧م، ١٥٤/٣.

[١٢٧] انظر: التحرير والتنوير، ٢٠٠/٢٤.

[١٢٨] انظر: البحر المحيط، ٢٧١/٩، والتحرير والتنوير، ٢٠٠/٢٤.

[١٢٩] انظر: البرهان، ٣٣٥/٢، والبلاغة العربية، الميدانيّ، ٢٨٢/١.

فرعون.[١٣٠] وقد قوى التركيب النحويّ إنجاز التقرير؛ إذ دخلت الهمزة على "ليس" في الموضعين، فحصل فيها معنى الإيجاب بعد النفي.[١٣١] وكذلك زيادة الباء في (بِٱلۡحَقِّ)، وكذلك تقديم (الجار والمجرور) "لِي"؛ إذ يقصر ملكية مصر عليه وحده. وقوله: ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأحقاف:٣٤] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن موقف المشركين من البعث. وقوته الإنجازية هي تقريرهم وقوعه[١٣٢]، وتتضمن التهكم بالكفار.[١٣٣] وقد يأتي المقرر به بعد "أم" المتصلة الواقعة بعد الهمزة في قوله: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ﴾ [الزخرف:٥٨] ، وقوله: ﴿أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ﴾ [الدخان:٣٧]. والأول- معناه الحرفيّ الاستفهام عن الخيرية ألعيسى أم للآلهة؟ وقوته الإنجازية التقرير بأن عيسى عند محمد خير من آلهتهم.[١٣٤]وتتضمن الإفحام.[١٣٥] والآخر-معناه الحرفيّ الاستفهام عن الأفضلية: ألمشركي مكة أم لقوم تبع؟ وقوته الإنجازية التقرير بأن قوم تبع أكثر قوة وأعظم نعمة من مشركي مكة، وتتضمن الوعيد.[١٣٦]

أما الاستفهام بـ"من" في قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [غافر:١٦] فمعناه الحرفيّ الاستفهام عن ملك يوم القيامة، وقوته الإنجازية تقرير الخلق يوم القيامة بأن الملك

---

[١٣٠] انظر: الكُلِّيَّات، أبو البقاء الكفويّ، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصريّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ص٩٨.

[١٣١] المسائل الحلبيات، أبو علي الفارسيّ، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق، ط١، ١٩٨٧م، ص٢٦٦.

[١٣٢] انظر: التحرير والتنوير، ٦٦/٢٦.

[١٣٣] انظر: الكشاف، ٣١٣/٤، والتفسير الكبير، الرازيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٣٠/٢٨.

[١٣٤] انظر: التحرير والتنوير، ٢٣٩/٢٥.

[١٣٥] انظر: البحر المحيط، ٣٨٥/٩.

[١٣٦] انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافيّ محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٧٥/٥.

لله وحده، وتتضمن توقيف الخلق جميعًا.[١٣٧] وذكر الجواب ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦] يقوي إنجاز التقرير؛ إذ جاء ليؤكد حقيقة أن الملك لله وحده. ومثله قوله:﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[الزخرف: ٩]، وقوله: ﴿مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف:٨٧] والأول- معناه الحرفيّ الاستفهام عن خالق السماوات والأرض، وقوته الإنجازية هي إقرار المشركين بأن الله هو خالقهما[١٣٨]، وتتضمن الإلزام بالحجة.[١٣٩][الزخرف: ٩] أما الموضع الآخر فمعناه الحرفيّ الاستفهام عن الخالق، وقوته الإنجازية تقرير المشركين بأن الله هو خالقهم[١٤٠]، وتتضمن الإلزام بالحجة.[١٤١] وتقديم خلق السماوات على خلق الأرض في ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؛ لأن خلقها ورفعها أدخل في باب التقرير الذي من أجله سيق الاستفهام. ثم عطف عليها خلق الأرض؛ لأن خلقها يليها فخامة وعظمة. وتكرار (خَلَقَهُنَّ) بعد (خَلَقَ) يقوي إنجاز التقرير ويؤكده. وفي جوابهم ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وإيثار المضارع المؤكد باللام في جواب القسم تقوية لإنجاز التقرير؛ إذ في الجواب إقرار بأن الله هو خالق السماوات والأرض، وفي اللام توكيد القول، وفي إيثار المضارع-في الموضعين- دليل على تجدد قولهم واستمراره، وتكرار اعترافهم في الحال والاستقبال.

وجاء قوله: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢] مصدَّرًا بـ"أم" المشوبة بمعنى الإضراب والاستفهام[١٤٢]، بمعنى: بَلْ أَنَا خَيْرٌ.[١٤٣] ومعناه

---

[١٣٧] انظر: البحر المحيط، ٢٤٥/٩، والجواهر الحسان، ١٠٨/٥.

[١٣٨] انظر: التفسير الكبير، ٦١٩/٢٧، والبحر المحيط، ٣٦٠/٩.

[١٣٩] انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ، تحقيق محمد المرعشليّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ٨٧/٥.

[١٤٠] انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ٤١٤/٤.

[١٤١] انظر: التحرير والتنوير، ٢٧١/٢٥.

[١٤٢] انظر: نتائج الفكر في النحو، السهيليّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص٢٠٥.

[١٤٣] انظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، تحقيق محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط١، ١٣٨١هـ، ١٤/١.

الحرفيّ الاستفهام عن أفضلية فرعون على موسى. وقوته الإنجازية تقرير قومه بعظمة شأنه، وكونه خيرًا من موسى(١٤٤)، وتتضمن ذمّ موسى بإلصاق النقائص به. والوصف بالمهانة في "هُوَ مَهِينٌ"، وبالبلادة والعجز عن إيراد الحجج المؤيدة لرسالته بادعاء العيب في نطقه في "وَلَا يَكَادُ يُبِينُ" من مقويات إنجاز التقرير بأفضلية فرعون.

٢- الإنكار: يأتي المنكر -سواء أكان فعلا أم اسمًا- بعد الدليل الإنجازيّ للاستفهام الإنكاريّ في سور آل حم، وما تصدر منه الإنكار التوبيخيّ: الهمزة، والهمزة التي تتضمنها "أم" المنقطعة؛ بمنزلة (بل والهمزة)، وهل، وما، ومن، وأنّى، وأيّ، وأين. أما التكذيبيّ منه فورد بـ: الهمزة، والهمزة التي تتضمنها "أم" المنقطعة؛ بمنزلة (بل والهمزة)، وما، ومن. والاستفهام غير المباشر في المواضع التالية فعل إنجازيّ غير مباشر، معناه الحرفيّ يخالف مراد المتكلم، وله قوة إنجازية غير مباشرة، تتضمن معنى ثانويًّا.

ومن شواهد الإنكار التوبيخيّ بالهمزة، متلوة بالفعل المضارع قوله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ [غافر:٢٨]، والماضي قوله: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف:٢٢] ومعناهما الحرفيّ الاستفهام، أما الأول فللاستفهام عن علة القتل من دون موجب، وقوته الإنجازية هي إنكار وقوعه. وتتضمن توبيخ القتل.(١٤٥) وقوله: ﴿أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾، وقوله: ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ من مقويات الإنكار ومؤكداته؛ إذ تبين علله وأسبابه. وإيثار المضارع في (أَتَقْتُلُونَ) يقوي إنجاز الإنكار؛ إذ فيه استحضار لصورة القتل التي تتجدد عندهم، وتشعر بأنه دأبهم وعادتهم. وأما الموضع الآخر ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ فمعناه الحرفيّ الاستفهام عن مجئ هود -عليه السلام- لقوم عاد لصرفهم عن عبادة الأصنام، وقوته الإنجازية الإنكار(١٤٦)، وتتضمن التوبيخ.(١٤٧)

---

(١٤٤) انظر: الكشاف، ٢٥٨/٤، ونتائج الفكر، ص٢٠٥، والبحر المحيط، ٣٨١/٩-٣٨٢.

(١٤٥) انظر: الطراز، يحيى بن حمزة العلويّ، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ، ١٤٨/٢.

(١٤٦) انظر: التحرير والتنوير، ٤٦/٢٦.

(١٤٧) انظر: البحر المحيط، ٤٤٥/٩.

ومنه الاستفهام بـ"الهمزة" المتلوة بحرفي العطف الواو والفاء، أما المتلوة بالواو فداخلة على جملة فعلية ماضوية مسبوقة بـ"لو" الشرطية، في قوله: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ [الزخرف:٢٤]. ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن اهتداء المشركين إن جاءهم النبيّ بدين أهدى من دين آبائهم وأحق، وقوته الإنجازية إنكار الاهتداء(١٤٨)، وتتضمن التجهيل.(١٤٩) وجاء الجواب بالجملة الاسمية المنسوخة بـ"إن" المؤكدة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٤] ليقوي إنجاز الإنكار؛ إذ يدل على استمرار كفرهم بما أرسل به النبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ودوامهم عليه. كذلك التركيب النحويّ؛ إذ الهمزة –حسب رأي الزمخشريّ– قارّة في موضعها غير مقدمة من تأخير، ومدخولها –المعطوف عليه بالواو– محذوف، وتقديره: أتتبعون آباءكم ولوجئتكم بدين أهدى من دين آبائكم".(١٥٠) أما التقدير عند سيبويه والجمهور: (وألو جئتكم)، والهمزة مقدمة من تأخير، داخلة على الفعل (جئتكم) دخولًا مباشرًا من دون أن يفصل بينها وبين الفعل حرف نفي، فنفت هي الفعل، وتحقق الإنكار، فاستوى المذهبان في إفادة الإنكار. وأما المتلوة بـ"الفاء" فداخلة على جملة فعلية مضارعية، في قوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الزخرف: ٥] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن قطع الذكر عن المسرفين في الكفر والإعراض عما نزل من القرآن، وقوته الإنجازية إنكار قطع الإرشاد(١٥١)، وتتضمن التجهيل. وقد دعم التركيب النحويّ إنجاز الإنكار على مذهب سيبويه والزمخشريّ؛ إذ التقدير على مذهب سيبويه والجمهور (فأنضرب عنكم)، والهمزة داخلة على الفعل المستفهم عنه (نضرب) دخولًا مباشرًا من دون أن يفصل بينها وبين الفعل حرف نفي، فنفت هي الفعل، وتحقق الإنكار. وأما الزمخشري فعد الهمزة قارّة في موضعها غير مقدمة من تأخير، وأن مدخولها –المعطوف عليه

(١٤٨) انظر: الكشاف، ٤٨٤/٣، وإرشاد العقل السليم، ٤٤/٨، وروح المعاني، ٧٦/١٣.

(١٤٩) انظر: البحر المحيط، ٣٦٧/٩.

(١٥٠) انظر: الكشاف، ٤٨٤/٣.

(١٥١) انظر: الكشاف، ٤٧٨/٣، والبحر المحيط، ٣٦٠/٩.

بالواو– محذوف، وتقديره: (أنهملكم فنضرب عنكم الذكر صفحًا)، فتحقق الإنكار، واستوى المذهبان في إفادة الإنكار.[١٥٢]

ومنه ما جاء بالهمزة التي تتضمنها "أم" المنقطعة بمنزلة "بل والهمزة"، في قوله: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الشورى:٩]، ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن اتخاذ الظالمين أولياء من دون الله، وقوته الإنجازية إنكار الاتخاذ[١٥٣]، وتتضمن التوبيخ.[١٥٤] ويعد ذكر الجواب والتعبير بالجملة الاسمية في الجواب في قوله –بعد–:﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ ﴾ [الشورى: ٩] من مقويات إنجاز الإنكار؛ إذ فيه دلالة على ثبوت الولاية ودوامها، وقصرها على لفظ الجلالة (فَٱللَّهُ) قصرًا حقيقيًّا، عن طريق تعريف الطرفين، وضمير الفصل (هُوَ).

وقوله:﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ [الشورى:٢٤] معناه الحرفيّ هو الاستفهام عن ادعاء المشركين كذب النبيّ على الله، وقوته الإنجازية إنكار هذا الادعاء.[١٥٥] وتتضمن التقريع؛ إذ جعلوا دعوى افترائه على الله الكذب همهم.[١٥٦] وجيء بصيغة المضارع (يَقُولُونَ) لتقوية إنجاز الإنكار، ليتوجه هو والتقريع إلى استمرارهم على هذا القول الشنيع، فإذا كان قولهم شنعًا فاستمرارهم عليه أشنع.[١٥٧] وقوله: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ ﴾ [الشورى:٢١]معناه الحرفيّ الاستفهام عن اتخاذ الشركاء من دون الله، وقوة الإنجازية إنكار الاتخاذ[١٥٨]، وتتضمن التهكم.[١٥٩] وقوله: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾

---

[١٥٢] انظر: معاني القرآن وإعرابه، ٤٠٦/٤، والكشاف، ٤٧٨/٣.

[١٥٣] انظر: الكشاف، ٢١١/٤، والبحر المحيط، ٣٢٥/٩.

[١٥٤] انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ٢٩/٤.

[١٥٥] انظر: البحر المحيط، ٣٣٥/٩.

[١٥٦] انظر: الكشاف، ٢٢١/٤، والتفسير الكبير، ٥٩٦/٢٧، والبحر المحيط، ٣٣٥/٩.

[١٥٧] انظر: التحرير والتنوير، ٨٥/٢٥.

[١٥٨] انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ٣١/٤–٣٢.

[١٥٩] انظر: محاسن التأويل، القاسميّ، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ٣٦٣/٨.

[الأحقاف:٤] معناه الحرفيّ الاستفهام عن شراكة آلهتهم الله في خلق السماوات، وقوته الإنجازية إنكار الشرك[١٦٠]، وتتضمن الإفحام.[١٦١] وتنكير (شِرْكٌ) يقوي معنى الإنكار؛ إذ يفيد انعدام الشريك قطعًا. وفي تضمّن (أم) التي بمعنى (بل) همزة محذوفة بلاغة في المعنى وإيجاز في المبنى. وفي التعبير بالجملة الاسمية ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا﴾ و﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ تقوية لإنجاز إنكار وجود الشركاء والشراكة؛ إذ تدل على دوامه واستمراره من دون انقطاع.

كما دخلت "الهمزة" على جملة اسمية في قوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف:٣٢]، ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن أن يكون المشركون هم المتولون قسم رحمة الله، وقوته الإنجازية هي إنكار ذلك[١٦٢]، وتضمن التعجيب من جهل المشركين.[١٦٣] في التعبير بالجملة الاسمية (أَهُمْ يَقْسِمُونَ) تقوية لإنجاز الإنكار؛ إذ تدل على ثبوتهم في ادعائهم، واستمرارهم من دون انقطاع.

وتدخل على الجملة الاسمية المنسوخة بـ"إن" في قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:٩] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن وقوع كفر مشركي العرب بالله بإثبات الشركاء، وقوته الإنجازية إنكار ذلك[١٦٤]، وتتضمن تهديد الكفار.[١٦٥] وفي تصدير الآية بفعل الأمر(قُلْ)، والتوكيد بـ"إنَّ" و"اللام"، والتعبير بلفظ الجلالة (الله) بالموصول (الذي) والصلة (خَلَقَ الْأَرْضَ) من مقويات الإنكار؛ إذ يبين التصدير بفعل الأمر(قُلْ) أهمية إنكار الكفر، وضرورة مواجهته، أما "إن" و"اللام"

---

[١٦٠] انظر: أنوار التنزيل، ٣٩٢/٢، والتحرير والتنوير، ٩/٢٦.

[١٦١] انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ٨٣/٤-٨٤.

[١٦٢] انظر: دلائل الإعجاز، ١٢٢/١، والكشاف، ٤٨٦/٣، والإيضاح، ٧٣/٣.

[١٦٣] انظر: الكشاف، ٤٨٦/٣، وإرشاد العقل السليم، ٤٦/٨، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٤٩/٤.

[١٦٤] انظر: التفسير الكبير، ٥٤٣/٢٧، والبحر المحيط، ٢٨٧/٩، وروح المعاني، ٣٥٢/١٢.

[١٦٥] انظر: بحر العلوم، السمرقنديّ، تحقيق وتعليق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، وزكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ٢١٩/٣، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٥/٤.

فلتأكيد الإنكار وتغليظه، أو للإشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه، فيحتاج إلى التأكيد، وفي التعبير بلفظ الجلالة (الله) بالموصول (الذي) والصلة (خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ) تشديد للإنكار، وتلويح بغباء الكفار.

وورد الإنكار التوبيخيّ بـ"من" في ثلاثة مواضع، الأول–قوله:﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ﴾[غافر: ٢٩] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن وجود ناصر يدفع عن المشركين عذاب الله إن حلَّ بهم، وقوته الإنجازية الإنكار(١٦٦)، وتتضمن النصح.(١٦٧) وإيثار المضارع "يَنصُرُنَا" من مقويات الإنكار؛ إذ يضفي المقام علي المضارع دلالة الاسم على الثبوت والاستمرار والدوام؛ وليس التجدد والحدوث الذي يتخلله انقطاع. والثاني– قوله:﴿مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥] ومعناه الحرفيّ استفهام عاد عمن أشد منهم قوة، وقوته الإنجازية إنكار أن يكون في الوجود من هو أقوى منهم ونفيه(١٦٨)، وتتضمن الاغترار بالقوة.(١٦٩) والثالث– قوله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت:٣٣]، ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن أحسن الأقوال الداعية إلى الله، وقوته الإنجازية الإنكار (١٧٠)، وتتضمن النفي.(١٧١)

وورد الاستفهام بـ"هل" في قوله: ﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف:٣٥]، ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن هلاك الفاسقين، وقوته الإنجازية إنكار(١٧٢) هلاك غيرهم ونفيه(١٧٣)وتتضمن الوعيد المحض.(١٧٤)

---

(١٦٦) انظر: التحرير والتنوير، ١٣٢/٢٤، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٤٦٢/٣.

(١٦٧) انظر: الكشاف، ١٦٢/٤، والتفسير الكبير، ٥١١/٢٧.

(١٦٨) البحر المحيط، ٢٩٥/٩، وروح المعاني، ٣٦٣/١٢.

(١٦٩) انظر: أنوار التنزيل، ٦٩/٥، وإرشاد العقل السليم، ٨/٨.

(١٧٠) انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ٦/٤.

(١٧١) انظر: التحرير والتنوير، ٢٨٨/٢٤، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٦/٤.

(١٧٢) انظر: البرهان، ٣٢٨/٢، ومعترك الأقران، ٣٢٨/١.

(١٧٣) انظر: البحر المحيط، ٥٧١/١، والتحرير والتنوير، ٦٩/٢٦

(١٧٤) انظر: المحرر الوجيز، ١٠٨/٥، والبحر المحيط، ٤٥٢/٩، وروح المعاني، ١٩٢/١٣.

وقوى أسلوب الحصر –بالنفي وإلا– إنجاز الإنكار؛ إذ حصر الهلاك في القوم الفاسقين.

أما الاستفهام بـ"ما" ففي موضعين، الأول– قوله:﴿مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [غافر: ٤١] ، ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن سبب دعوة مؤمن آل فرعون قومه إلى النجاة من سوء المصير، وهم يدعونه الكفر، وقوته الإنجازية إنكار تلك الدعوة[١٧٥]، وتتضمن التعجب.[١٧٦] وإيثار الفعل المضارع (وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ) فيه تقوية لإنجاز الإنكار؛ إذ فيه الدلالة على تكرار دعوتهم مؤمن آل فرعون إلى الكفر الموجب خلوده في النار. والآخر– قوله:﴿ مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأحقاف: ٤] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن خلق معبودات المشركين، وقوته الإنجازية إنكاره[١٧٧]، وتتضمن التعجيز.[١٧٨]

وللاستفهام بـ"أنّى" موضعان، أحدهما– قوله:﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾[غافر: ٦٢] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن انصراف المشركين عن توحيد الله إلى إشراك غيره به، وقوته الإنجازية إنكار انصرافهم[١٧٩]، وتتضمن التعجيب.[١٨٠] ويقوي السياق إنجاز الإنكار؛ إذ يتناول ذكر علله، في قوله:﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ [غافر:٦١]، وقوله:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [غافر:٦٢]. والآخر– قوله: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن انصراف المشركين عن عبادة الله، وتتمثل قوته الإنجازية في إنكار انصرافهم عن ذلك[١٨١]، وتتضمن التعجيب من إشراكهم بالله، وهو خالقهم.[١٨٢] وفي إيثار

---

[١٧٥] السابق نفسه: ٤٦٣/٣.

[١٧٦] انظر: البحر المحيط، ٢٦٠/٩، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٤٦٣/٣.

[١٧٧] انظر: التحرير والتنوير، ٩/٢٦، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٨٣/٤-٨٤.

[١٧٨] انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ٨٤/٤.

[١٧٩] انظر: مفتاح العلوم، ص٣١٥، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٤٦٨/٣.

[١٨٠] انظر: التحرير والتنوير، ١٨٧/٢٤.

[١٨١] انظر: معترك الأقران، السيوطيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ٣٤٥/٣.

[١٨٢] انظر: روح المعاني، ١٠٦/١٣، والتحرير والتنوير، ٢٧١/٢٥.

المضارع (تُؤْفَكُونَ) و(يُؤْفَكُونَ) تقوية لإنجاز الإنكار؛ إذ يدل على تكرار انصرافهم عن عبادة الله، واستمرارهم في ذلك، وحتى صار هذا من عادتهم ودأبهم.

والاستفهام بـ"أيّ" في قوله: ﴿فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾[غافر:٨١] معناه الحرفيّ الاستفهام عن قبول آية من آيات الله الإنكار، وتتمثل قوته الإنجازية في إنكار ذلك؛ إذ كلها من الظهور والدلالة على قدرة الله.(١٨٣) وتتضمن التقريع.(١٨٤) وإراءة الآيات في قوله –قبل–: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [غافر:٨١] وإيثار المضارع إشارة إلى شمولها الأوقات كلها، مما يقوي إنجاز الإنكار، ويؤكده، ويجعله مترتبًا على الإراءة.

وللاستفهام بـ"أين" موضعان، الأول– قوله: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [غافر:٧٣]، والآخر– قوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ [فصلت:٤٧] ومعناهما الاستفهام عن وجود الشركاء، وقوتهما الإنجازية إنكار الشركاء.(١٨٥) وتتضمن في الأول التقريع(١٨٦)، وفي الآخر التهكم.(١٨٧) ومن مقويات إنجاز الإنكار في الموضع الأول: الجار والمجرور (مِن دُونِ ٱللَّهِ) الذي يخصص الشركاء، وقوله:﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ [غافر:٧٤]؛ إذ يعترف فيه المشركون بأن عبادتهم الأصنام كانت باطلة. ويقوي السياق –قبل الآية الثانية– إنجاز الإنكار؛ إذ يبين سببه، وذلك من خلال ذكر بعض خصائص الألوهية التي لا يشاركه أحد في الإحاطة بها، وهي: استئثاره بعلم الساعة، وعلم ثمار الأشجار والنباتات، وبما في أرحام الأنثيات حملًا وتطورًا، في قوله:﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٧].

أما الإنكار التكذيبيّ فقد ورد بـ: الهمزة، والهمزة التي تتضمنها "أم" المنقطعة بمنزلة "بل والهمزة"، وما، ومن. أما الاستفهام بـ"الهمزة" ففي موضعين، الأول– داخلة

(١٨٣) انظر: التحرير والتنوير، ٢٤/ ٢١٨، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٤٧٣/٣.

(١٨٤) انظر: فتح القدير، ٥٧٦/٤.

(١٨٥) انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ٢٠٧/٣، و٢١/٤.

(١٨٦) انظر: جامع البيان، ٤١٦/٢١، والبحر المحيط، ٢٧٢/٩.

(١٨٧) انظر: الكشاف، ٢٠٤/٤، والبحر المحيط، ٣١٤/٩، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٢١/٤.

على الاسمية المتلوة بالواو في قوله: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن خلق البنات والبنين، وقوته الإنجازية إنكار بدعة تقسيم المشركين الخلق، واستئثارهم بالذكور، وترك البنات لله؛ إذ لم يقر الله تعالى هذا التقسيم أصلا، ولأنهم جعلوا لله أنقص الولدين وأضعفهما خلقة وجبلة، واختاروا لأنفسهم ما هو أكمل وأقوى.[١٨٨] وتتضمن التكذيب.[١٨٩] والآخر– داخلة على الجملة الفعلية الماضوية في قوله: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف:١٩] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن مشاهدة المشركين خلق الملائكة، ووصفهم بأنهم إناث، وتتمثل قوته الإنجازية في إنكار وقوع ذلك[١٩٠]، وتتضمن التجهيل لهم.[١٩١]

ومنه ما جاء بالهمزة التي تتضمنها "أم" المنقطعة بمنزلة "بل والهمزة" في أربعة مواضع، الأول– قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الزخرف: ١٦] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن جعل المشركين البنات لله والبنين لهم، وقوته الإنجازية هي إنكار وقوع ادعائهم[١٩٢]، وتتضمن التعجيب من شأنهم؛ إذ لم يرضوا بأن جعلوا لله من عباده جزءًا، حتى جعلوا له أضعف الجزئين.[١٩٣] وتنكير (بَنَاتٍ) وتعريف (البَنِينَ) من مقويات الإنكار عليهم. والثاني–قوله: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف: ٢١] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن إتيان المشركين كتابًا أقر الله فيه بما كفروا به، وقسمتهم لخلق الله، وتخصيص بعضه لهم وبعضه لله، ووصفهم الملائكة بالأنوثة. وقوته الإنجازية إنكار ذلك[١٩٤]، وتتضمن التقريع. وتنكير "كِتَبًا" لإفادة الانعدام؛ إذ لم يؤتهم الله كتابًا قطّ شرع لهم فيه تلك الكفريات. والثالث–

---

[١٨٨] انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريديّ، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م، ١٥٥/٩.

[١٨٩] انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ٤١/٤.

[١٩٠] انظر: التفسير الكبير، ٦٢٥/٢٧، والبحر المحيط، ٢٦٢/٨، والبرهان، ٣٢٩/٢.

[١٩١] انظر: الكشاف، ٦٣/٤، وأنوار التنزيل، ٨٨/٥.

[١٩٢] انظر: الكشاف، ٢٤١/٤، والبحر المحيط، ٣٦٣/٩، وروح المعاني، ٧٠/١٣.

[١٩٣] انظر: الكشاف، ٢٤١/٤، وإرشاد العقل السليم، ٤٢/٨، ومحاسن التأويل، ٣٨١/٨.

[١٩٤] انظر: التفسير الكبير، ٦٢٧/٢٧، وأنوار التنزيل، ٨٩/٥.

قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية:٢١] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن تساوي المحسنين والمسيئين محيًا ومماتًا. وقوته الإنجازية إنكار وقوع ذلك؛ لافتراق أحوالهم أحياء وأمواتًا[١٩٥]، وتتضمن التهديد.[١٩٦] والرابع–قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الأحقاف:٨] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن قولهم بافتراء النبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– القرآن. وتتمثل قوته الإنجازية في إنكار قولهم[١٩٧]، وتتضمن التقريع[١٩٨]؛ لانتقالهم من تسميتهم الآيات سحرًا، إلى ما هو أشنع منها، وهو افتراؤه القرآن. ويتضح من تضمن (أم) الهمزة في المواضع الأربعة السابقة بلاغة في المعنى، وإيجاز في المبنى، وفي إيثار المضارع (يَقُولُونَ) –في الموضع الأخير– تقوية لإنجاز الإنكار؛ إذ يدل على استمرارهم في القول بافتراء النبيّ القرآن ودوامهم.

ومنه ما جاء بـ"ما" في قوله: ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ [الجاثية:٣٢] ومعناه الحرفيّ استفهام الكفار عن وقوع البعث، وقوته الإنجازية إنكار وقوعه، وتتضمن السخرية من وقوعه.[١٩٩] ويعد من مقويات إنجاز الإنكار القصر بالنفي وإلا، والتوكيد بالمفعول المطلق في قوله:(إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا) [الجاثية:٣٢]، والتعبير بالجملة الاسمية (وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) [الجاثية:٣٢] للدلالة على استمرار ظنهم، ودوام عدم يقينهم بقيام الساعة.

وقد اختص الاستفهام بـ"الهمزة" في قوله:﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ [الزخرف:٤٠] بكونه ليس موضعًا من مواضع الإنكار التوبيخيّ أو التكذيبيّ؛ تأدبًا مع النبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ومراعاة لمقامه. ومعناه الحرفيّ غير المراد؛ هو الاستفهام عن قدرة النبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– على إسماع من أصمَّه الله عن

---

[١٩٥] انظر: الكشاف، ٢٩٠/٤، والبحر المحيط، ٤١٩/٩، وإرشاد العقل السليم، ٧٢/٨.

[١٩٦] انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ٧٤/٤.

[١٩٧] انظر: الكشاف، ٢٩٦/٤، وأنوار التنزيل، ١١٢/٥، وروح المعاني، ١٦٦/١٣، ومحاسن التأويل، ٤٣٩/٨.

[١٩٨] انظر: فتح القدير، ١٨/٥، وروح المعاني، ٨/٢٦.

[١٩٩] انظر: الكشاف، ٢٩٣/٤، والتفسير الكبير، ٦٨٢/٢٧، والبحر المحيط، ٤٢٧/٩.

سماع الحق، أو هداية من أعمى قلبه عن طريق الهدى. وقوته الإنجازية إنكار وقوع ذلك. وتتضمن معنى النفي.[٢٠٠] ومن مقويات الإنكار أن يكون بالاسم من دون الفعل؛ إذ في تقديم الفاعل المعنويّ "أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ" بعد همزة الإنكار تنزيل النبيّ منزلة من يعتقد أنه قادر على هدايتهم، وقد نفى الله ذلك عنه، وأثبته لنفسه على الاختصاص، وهذا أبلغ من إنكار الفعل.[٢٠١]

وهناك ثلاثة مواضع يحتمل الاستفهام فيها التقرير والإنكار وفق توجيه المعنى الذي يحتمله السياق، منها- موضع بـ"هل" في قوله:﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ﴾ [الزخرف:٦٦]، ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن انتظار المشركين حلول الساعة بغتة. ويجوِّز السياق أن توجه قوته الإنجازية إلى الإنكار[٢٠٢] بالنظر إلى النفي المفهوم من (هَلۡ)؛ لأن المعنى: لم يبقَ شيء ينتظرونه إلا قيام الساعة بغتة؛ أي ينكر عليهم انتظار غيرها. كما يجوز أن توجه إلى التقرير بالنظر إلى الاستثناء؛ لأن ما بعد "إلا" مثبت، ويكون المعنى: أن الأمر الوحيد الذي ينتظرونه أو ينتظرهم هو قيام الساعة. وتتضمن كل قوة إنجازية منهما الوعيد.[٢٠٣] وإيثار " هَلۡ" لتحقق وقوع الساعة، وهم في غفلة عنها، فتبهتهم. وإيثار المضارع "يَنظُرُونَ" من مقويات التقرير أو الإنكار؛ إذ يضفي المقام علي المضارع دلالة الاسم على الثبوت والاستمرار والدوام؛ وليس التجدد والحدوث الذي يتخلله انقطاع. ولا يعد هذا خروجًا على الدلالة الوضعية للفعل المضارع؛ إذ لكل دلالة مخصصات تخرجها عن الأصل، منها المقام الذي ورد فيه الفعل.[٢٠٤]

وهناك موضعان بـ"من"، الأول- قوله: ﴿مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت:٥٢] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن أضل الناس، ويجوز السياق توجيه قوته

---

[٢٠٠] الجامع لأحكام القرآن، القرطبيّ، تحقيق أحمد البردونيّ، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م، ٣٤٦/٨.

[٢٠١] انظر: الكشاف، ٢٥٣/٤، والإيضاح، ٧٣/٣، والبرهان، ٣٢٩/٢، وروح المعاني، ١١٩/٦.

[٢٠٢] انظر: التحرير والتنوير، ٢٥١/٢٥، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٦٦/٤.

[٢٠٣] انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ٦٦/٤.

[٢٠٤] السابق نفسه: ٢٨٣/٤-٢٨٤.

الإنجازية إلى التقرير[٢٠٥]؛ إذ المعنى: أنتم أضل الناس، وإلى الإنكار[٢٠٦]؛ إذ المعنى: لا أحد أكثر ضلالًا منكم؛ لأنكم معادون للحق بكفركم بالقرآن. والآخر- قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[الأحقاف: ٥] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عمّن أبعد ضلالًا ممن يدعون من دون الله. ويجوِّز السياق أن توجه قوته الإنجازية إلى التقرير بأن عبدة الأصنام أضل الضالين[٢٠٧] بالنظر إلى جانب نفي الأضلية عن غيرهم، كما يجوز أن توجه إلى إنكار أن يكون من الناس من هو أبعد ضلالاً ممن يدعون من دون الله[٢٠٨]، بالنظر إلى جانب إثبات الأضلية لغير المتحدث عنهم.[٢٠٩] وتتضمن كل منهما التعجيب.[٢١٠] ويعد التعبير باسم التفضيل "أَضَلُّ" من مقويات إنجاز التقرير أو الإنكار في الآيتين.

٣- **النفي:** اقتصر على مجيئه ذا قوة إنجازية غير مباشرة، تتضمن معنى ثانويًّا، ومصدَّرًا بالدليلين الإنجازيين: "الهمزة"، و"ما". جاء الاستفهام بـ"الهمزة" المتلوة بـ"الفاء" العاطفة، داخلة على جملة اسمية، بعدها "أم" المتصلة، في قوله: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[فصلت:٤٠] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن الخيرية: ألمن يقذف في جهنم أم من يبعث آمنًا يوم القيامة؟، وتمثلت قوته الإنجازية في نفيها عمن يقذف في جهنم، وإثباتها لمن يبعث آمنا يوم القيامة[٢١١]، وتتضمن التوبيخ المستعمل في التنبيه على تفاوت المرتبتين.[٢١٢] وجاء بـ"ما" الداخلة على الفعل المضارع، في قوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[الشورى:١٧] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن علم النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بوقت قيام الساعة. وقوته الإنجازية نفي فاعل الإدراء، القاطع

---

[٢٠٥] السابق نفسه: ٢٣/٤.

[٢٠٦] انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٣٧٤/١٥، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٢٣/٤.

[٢٠٧] انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ٨٧/٤-٨٨.

[٢٠٨] انظر: الكشاف، ٢٩٥/٤، والتفسير الكبير، ٧/٢٨، والتحرير والتنوير، ١١/٢٦.

[٢٠٩] انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ٨٧/٤-٨٨.

[٢١٠] انظر: التحرير والتنوير، ١١/٢٦.

[٢١١] انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ٤٠/٤.

[٢١٢] انظر: المقتضب، المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ٢٩٢/٣.

المؤبد.[٢١٣] وتتضمن تهديد السائلين عن وقتها على وجه الإنكار والتهكم.[٢١٤] وإيثار المضارع "يُدْرِيكَ" يقوي النفي؛ إذ يعم النفي جميع الأوقات، ويضفي المقام علي المضارع دلالة الاسم على الثبوت والاستمرار والدوام؛ وليس التجدد والحدوث الذي يتخلله انقطاع.

٤- إثارة النشاط الذهني حول المستفهم عنه [٢١٥] من أجل أمرية "أَخْبِرْنِي"[٢١٦]: وقد اقتصر على مجيئه ذا قوة إنجازية غير مباشرة، تتضمن معنى ثانويًّا، وعلى مجيئه بالدليل الإنجازيّ (الهمزة) الداخلة على "رأيت". ومنه "أَرَءَيْتُمْ" في ثلاثة مواضع، و"أَفَرَءَيْتَ" في موضع واحد. أما قوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ [فصلت:٥٢]، وقوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف:١٠] فمعناهما الحرفيّ الاستفهام عن كفر مشركي العرب بالقرآن، وتتمثل قوتهما الإنجازية في إثارة النشاط الذهني حول كون القرآن من عند الله حقًّا، وشهادة عالم بني إسرائيل وإيمانه بهذه الحقيقة، وكفر مشركي العرب بالحق الذي أنزله، واستكبارهم عن الإذعان له واتباعه. ثم الأمر بالإخبار عن موقفهم بعد روية وتأمل. وتتضمن قوتهما الإنجازية التقرير المراد منه التنبيه والتمهيد لما يذكر بعده من نبأ غريب أو عجيب؛ وهو أن مشركي العرب أضل العباد وأظلمهم.[٢١٧]

ومنه الاستفهام بـ"أَرَءَيْتُم" في قوله: ﴿أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٤] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن حقيقة معبودات المشركين، وتتمثل قوته الإنجازية في

---

[٢١٣] انظر: البحر المحيط، ٥٠٦/٨، وروح المعاني، ٢٦٧/١١.

[٢١٤] انظر: الكشاف، ٥٦٢/٣، والبحر المحيط، ٥٠٦/٨.

[٢١٥] انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ٢٣/٤-٢٤، و٧٦/٤-٧٧، و٨٢/٤.

[٢١٦] للاستفهام بـ "أَرَءَيْتُم" وأمثاله (أرأيتكم، أرأيتك، أرأيت، أفرأيت، أفرأيتم) معنيان، أحدهما- بمعنى: أَخْبِرُونِي أو أخبرني. انظر: الكتاب،٢٣٩/١-٢٤٠، والمسائل الحلبيات، ص٧٦، والكشاف، ٢٠٦/٤، والبحر المحيط، ٣١٦/٩، ٤٣١/٩. والآخر: أنها للتنبيه بمعنى انتبه أو انتبهوا. انظر: المسائل الحلبيات، ص٧٧. وقال البيضاويّ: "أي أخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها". أنوار التنزيل، ١١١/٥. وقصد بقوله: "بعد تأمل فيها" استحضار صورتها في الذهن.

[٢١٧] انظر: الكشاف، ٢٩٩/٤، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٩٤/٤.

إثارة النشاط الذهني حول معبودات المشركين، والتوطئة والإخبار –بعد رويَّة وتأمُّل– عن عجزها. وتتضمن تقرير المشركين بحقيقة معبوداتهم. ويقوي إنجاز إثارة النشاط الذهنيّ تصدر الآيات بفعل الأمر (قُلْ)؛ للإشعار بأهمية المقول المأمور بقوله، وكونه رسالة خاصة ينبغي على المأمور بالقول أن يواجه خصومه فور تلقيها. وقد اشتمل قوله–بعد–: ﴿أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤] على عدد من مقويات التوطئة لبيان عجز آلهتهم، منها– فعلا الأمر: (أَرُونِى) للإفحام المترتب على عجزهم عن الإراءة المأمور بها، و(ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ) للتعجيز والإفحام. ومنها– الاستفهام الإنكاريّ التعجيزيّ في قوله: (مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ)، والاستفهام الإنكاريّ في قوله: (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ) المتضمن التوبيخ والإفحام.

أما موضع "أَفَرَءَيْتَ" في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣] فمعناه الحرفيّ الاستفهام عن اتخاذ الكافر إلهه هواه. وقوته الإنجازية هي إثارة النشاط الذهنيّ حول الكافر الخاضع لهواه، المعطّل حواسه، وإثارة الذهن حوله، والتوطئة والأمر بالإخبار عن استحالة هدايته، في قوله:﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾[الجاثية:٢٣]، وتتضمن التعجيب من حال من ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى.[٢١٨]

٥– **التمني:** اقتصر على مجيئه ذا قوة إنجازية غير مباشرة، تتضمن معنى ثانويًّا، واختصاصه بالدليل الإنجازيّ " هَلْ" داخلة على جملة اسمية في موضعين، الأول– قوله:﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر:١١] والآخر قوله: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [الشورى:٤٤] ومعناهما الحرفيّ الاستفهام عن الخروج من النار. والأول قوته الإنجازية تمني الخروج من النار [٢١٩]، وتتضمن الاسترحام.[٢٢٠] أما الآخر فقوته

---

[٢١٨] انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ١٣/١٤٩.

[٢١٩] انظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائيّ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م، ٤/٢٤٠.

[٢٢٠] انظر: من روائع القرآن، محمد البوطيّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م، ص٢٤٩.

الإنجازية تمني العودة إلى الحياة[٢٢١]، وتتضمن التحسر والتندم على ما فات.[٢٢٢] واستعمال (هل)، والعدول عن (ليت) يقوي إنجاز التمني؛ إذ في استعمال (هل) إبراز المتمني المستحيل وإظهاره في صورة الممكن القريب من الحصول الذي لا جزم بانتفائه، لكمال العناية به والشوق إليه.[٢٢٣]

٦- **التعجيب:** وقد اقتصر على مجيئه ذا قوة إنجازية غير مباشرة، تتضمن معنى ثانويًّا، وتصدره بالأدلة الإنجازيّة: الهمزة في أربعة مواضع، و"كيف" في أربعة مواضع، و"أنَّى" في موضعين، و"أيّ" و"ما" لكل موضع واحد. أما الهمزة فأول مواضعها داخلة على الجملة الاسمية في قوله: ﴿ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞ ﴾ [فصلت: ٤٤] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن لغة القرآن والرسول. وقوته الإنجازية التعجب من التنافر بين الخطاب والمخاطب؛ كونه أعجميّ اللغة والبيان، وكون المخاطب به عربيّ اللغة والبيان. وتتضمن إنكار المشركين ذلك[٢٢٤]. وتقوي الجملة الاسمية إنجاز التعجب؛ إذ تدل على استمراره ودوامه. وثاني المواضع للهمزة الداخلة على الجملة الفعلية المضارعية المنفية بـ"لا" في قوله:﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[الزخرف:٥١] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن وقوف قوم فرعون على عظمة ملكه مصر. وقوته الإنجازية التعجب من عدم وقوفهم. وتتضمن حثهم على تحصيل ما أنكر عليهم غيابه عنهم.[٢٢٥] ومثله الموضع الثالث في قوله: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن تذكر المشركين. وقوته الإنجازية التعجيب من عدم التذكر[٢٢٦]، وتتضمن الحثّ على تحصيل ما أنكر عدم تحصيله.[٢٢٧] أما الموضع الرابع فجاءت الهمزة داخلة على الجملة الفعلية

---

[٢٢١] انظر: بحر العلوم، ٢٤٨/٣، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٣٥/٤-٣٧.

[٢٢٢] انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ٣٦/٤-٣٧.

[٢٢٣] انظر: الإيضاح، ٥٣/٣، وتحقيق الفوائد الغياثية، الكرمانيّ، تحقيق ودراسة: علي دخيل الله العوفيّ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٤هـ، هامش المحقق رقم (٧)، ٥٦٨/٢.

[٢٢٤] انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ١٨/٤.

[٢٢٥] السابق نفسه: ٥٩/٤.

[٢٢٦] السابق نفسه: ٧٧/٤-٧٨.

[٢٢٧] السابق نفسه: ٧٨/٤.

المضارعية المثبتة، في قوله:﴿ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ ﴾ [الأحقاف:١٧] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن وقوع البعث. وقوته الإنجازية تعجب الابن من وقوع البعث بعد الموت[٢٢٨]، وتتضمن إنكاره.[٢٢٩]

وجئ بالمضارع (تُبۡصِرُونَ) و(تَذَكَّرُونَ) لتقوية إنجاز التعجب؛ إذ دلالة الاسم على الاستمرار والدوام في عدم الإبصار والتذكر من دون انقطاع. ودلّ (أَتَعِدَانِنِيٓ) على تكرار الوعد من الأبوين؛ إذ لم يحدث مرة واحدة، وإنما هو متجدد ومستمر.

ومواضع "كيف" أربعة، وهي قوله:﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴾[غافر:٥]، وقوله:﴿ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾[غافر:٢١]، وقوله: ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [غافر:٨٢]، وقوله: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ [الزخرف:٢٥]. ومعناها الحرفيّ الاستفهام عن عاقبة المكذبين والمجادلين في آيات الله من الأمم السابقة، وقوتها الإنجازية التعجيب من بطش الله بهم، وفظاعة عقابه.[٢٣٠] وتتضمن تهديد مشركي مكة بأن مصيرهم مثل مصير من عاينوا مصارعهم.[٢٣١] ودل حذف الجواب على تقوية إنجاز التعجيب؛ وذلك لتذهب فيه النفس كل مذهب، إذلم يخصص نوع منه؛ لنقف على منتهاه.

وأما موضعا "أنى" فالأول- قوله:﴿أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ﴾[غافر:٦٩] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن انصراف المشركين عن آيات الله الموجبة الإيمان بها. وقوته الإنجازية التعجيب من الجحود والجدال بالباطل فيها، وقد انتفت حججهم.[٢٣٢] وتتضمن إنكار انصرافهم عن آيات الله.[٢٣٣] ويقوي إنجاز التعجيب ويؤكده السياق السابق واللاحق

---

[٢٢٨] انظر: التحرير والتنوير، ٣٨/٢٦.

[٢٢٩] انظر: التفسير الكبير، ٢٢/٢٨، والتحرير والتنوير، ٣٨/٢٦.

[٢٣٠] انظر: الكشاف، ١٥١/٤، والبحر المحيط، ٢٣٦/٩، وروح المعاني، ٢٩٨/١٢.

[٢٣١] انظر: التفسير الكبير، ٦٢٨/٢٧، والتحرير والتنوير، ١٩١/٢٥، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٤٥٣/٣، و٤٧٥/٣.

[٢٣٢] انظر: التفسير الكبير،٥٣٢/٢٧، والبحر المحيط، ٢٧١/٩، وروح المعاني، ٣٣٧/١٢، والتحرير والتنوير، ٢٠٠/٢٤-٢٠١.

[٢٣٣] انظر: التحرير والتنوير، ٢٠٠/٢٤-٢٠١، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٤٧٢/٣.

للآية، أما السابق فقد ذكر فيه مراحل خلق الإنسان، واختصاص الله –عزّ وجلّ– بإحياء الناس وإماتتهم، في قوله:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلًا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ....٦٧ هُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ....٦٨ ﴾ [غافر: ٦٨–٦٩]. وأما اللاحق فقد ذكر فيه عاقبة الذين كذبوا بالرسل وبما أتوا به من كتب؛ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل، ويسحبون بالسلاسل في الحميم، في قوله:﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢ ﴾ [غافر: ٧٠–٧٢].

والثاني– قوله: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ [الدخان:١٣] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن اعتبار المشركين وتذكرهم، مع تكذيبهم النبيّ. وقوته الإنجازية التعجيب من أن يقع فى نفوس المشركين شىء من العبرة والتذكر[٢٣٤]، وتتضمن الإنكار. ومن مقويات إنجاز التعجيب الجملة الحالية التعليلية ﴿ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴾ [الدخان: ١٣] وقوله:﴿ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴾ [الدخان: ١٤]؛ إذ لا أمل لهؤلاء المشركين في التذكر؛ وقد كذبوا النبيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، وتولوا عنه، واتهموه بأنه مجنون، قد علم هذا الكلام.

وموضع "أيّ" في قوله: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴾[الجاثية:٦] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن موقف المشركين من الإيمان بآيات الله. وقوته الإنجازية التعجيب من عدم إيمان المشركين بالله وآياته الواضحة في بيانها.[٢٣٥] وتتضمن إنكار موقفهم.[٢٣٦]

أما "ما" فوردت داخلة على جملة فعلية ماضوية، في قوله: ﴿لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَا﴾[فصلت:٢١] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن سبب شهادة الجوارح على العصاة يوم القيامة. وقوته الإنجازية التعجب من شهادة الجوارح على أصحابها

---

[٢٣٤] انظر: التحرير والتنوير، ٢٩١/٢٥.

[٢٣٥] السابق نفسه: ٣٣٠/٢٥.

[٢٣٦] انظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٤٤/١٦، والتحرير والتنوير، ٣٢٨/٢٥، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٤٢٥/١.

العاصين[٢٣٧]، وتتضمن إنكار العصاة.[٢٣٨] وإيثار (لِمَ) للمبالغة في الإنكار المتضمن؛ لأنها لنفي السبب وإنكاره، ونفي السبب يستلزم نفي المسبب؛ أي ليس لشهادة الجلود أسباب.

٧- **الاستحالة:** وقد اقتصر على مجيئها ذات قوة إنجازية غير مباشرة، تتضمن معنى ثانويًّا، وتصدرها بالدليلين الإنجازيين "الهمزة" و"من". أما "الهمزة" فوردت داخلة على الجملة الفعلية الماضوية، في موضع واحد، في قوله:﴿ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[الزخرف:٤٥] ومعناه الحرفيّ الاستفهام عن وقوع إذن من الله لأحد ما أن يعبد آلهة من دونه. وقوته الإنجازية استحالة وقوع ذلك الإذن، وتتضمن إنكاره. وأما "من" ففي قوله: ﴿ فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾ [الجاثية:٢٣] ذي المعنى الحرفيّ؛ وهو الاستفهام عن فاعل الهداية. وقوته الإنجازية استحالة وقوع الهداية المسلَّط على الفاعل المعنويّ (من)؛ أي لا فاعل لهدايته إذا لم يهده الله. وتتضمن الإنكار.[٢٣٩] وإيثار المضارع في (يُعْبَدُونَ) و(يَهْدِيهِ) يقوي إنجاز الإستحالة؛ إذ يشمل الأوقات كلها. ويقوي قوله: ﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ [الجاثية:٢٣] إنجاز استحالة وقوع الهداية لمن جعل هواه إلهًا معبودًا، وذلك من خلال: إسناد فاعل الإضلال إلى الله في قوله:(وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ)، واختيار الكفر على الإيمان عن علم منه في قوله:(عَلَىٰ عِلْمٍ)، ومنع وصول الهدى إلى القلب، ومنع السمع من إدراك القول والانتفاع به، في قوله:(وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ)، وفي جعل الغشاوة على البصر، في قوله: (وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً).

---

[٢٣٧] انظر: روح المعاني، ٣٦٨/١٢، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ١٠/٤.

[٢٣٨] انظر: التفسير البلاغيّ للاستفهام، ١٠/٤.

[٢٣٩] انظر: التحرير والتنوير، ٣٥٩/٢٥، والتفسير البلاغيّ للاستفهام، ٧٦/٤.

الخاتمة (نتائج البحث)

١- الاستفهام فعل كلاميّ إنجازيّ، وأحد الأغراض الفرعية التي تندرج تحت غرض من الأغراض الإنجازية الكبرى، وهي: أفعال الإيضاح عند "أوستن"، أو أفعال التوجيه عند "سيرل"، أو الأفعال الدالة على الطلب. ولا مشاحة في الاصطلاح؛ إذ إن الإنجاز يتضمن الأفعال الثلاثة، فمن دلالة الاستفهام نأخذ الفهم الذي يشكل إيضاح الغامض، وفي الوقت نفسه يوجه الشيء الذي اتضح- الفكر والوجدان والسلوك بالنسبة إلى الذات والآخر، أما الأفعال الدالة على الطلب فيعتمد عليها تحت مظلة التأصيل العربيّ؛ إذ يطلب بها المتكلم من المخاطب الجواب عن سؤال يجهله.

٢- تتمثل عناصر التركيب الاستفهاميّ في: الأدوات، والمُسْتَفْهِم، والمُسْتَفْهَم عنه، والمخاطب بالاستفهام. أما الأدوات فتمثل الأدلة الإنجازية، وقد جاءت متنوعة في سور آل حم ما بين حروف، من مثل: الهمزة وهل، وأسماء، من مثل: من، وما، وكيف، وأين، وأيّ، وأنَّى. أما المُسْتَفْهِم فقد جاء متنوعًا، فتارة يكون الله -عزّ وجلّ-، وتارة يكون بشرًا (نبيًّا من الأنبياء، أو ملكًا "فرعون"، أو مؤمن آل فرعون، أو الابن العاق، أو الكفار والعصاة، أو الأتباع...إلخ)، وتارة يكون الملائكة. وأما المخاطب بالاستفهام فمنهم: المشركون والكفار، ورؤساء القوم، والنبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأهل النار، وملائكة العذاب...إلخ.

٣- الاستفهام نوعان، أحدهما- مباشر يوافق مقتضى الظاهر، ويقتضي ألا يكون المستفهم هو الله -عزّ وجلّ-، وينجز معنى حرفيًّا؛ وهو طلب فهم شيء يجهله المتكلم، والآخر- غير مباشر، يقتضي أن يكون من الله -في الغالب-، وقد يقع من البشر والملائكة وغيرهما، ويخالف مقتضى الظاهر، إلى معانٍ تداولية.

٤- يعرف الاستفهام المباشر بأنه "فعل كلاميّ إنجازيّ مباشر، يتوافق تركيبًا ووظيفة توصيلية، وهو غرض فرعيّ عن أفعال الطلب، وله منطوق صريح، لا يحتمل التأويل، ويقصد به إنجاز المعنى الحرفيّ الذي يلازمه في مختلف السياقات، وهو طلب الفهم لشيء يجهله المتكلم، وله قوة إنجازية وضعية أو مباشرة أو حرفية ثابتة،

لا تتغير باختلاف السياقات، وهي الجواب عن السؤال، بأداة تمثل الدليل الإنجازيّ للاستفهام، ويطلب بها تصور أو تصديق أمر ما، نحو: الهمزة، أو تصديق أمر ما فقط، نحو: هل، أو تصور أمر ما فقط، نحو أسماء الاستفهام: من، وأين، وكيف، وأَنَّى...وغيرها، أو من دون أداة؛ إذ يحل التَّلوين الصَّوْتيّ –كالتَّغْنِيم والنَّبْر– محلها". أما الاستفهام غير المباشر فيعرَّف بأنه "فعل كلاميّ إنجازيّ غير مباشر، لا يتوافق تركيبًا ووظيفة توصيلية؛ إذ تدل هيئته التركيبية على معنى لا يقصده المتكلم، فيخرج عن مقتضى الظاهر أو المعنى الحرفيّ؛ لينجز أغراضًا أو معاني –عند البلاغيين–، أو"وظائف تواصلية إبلاغية" بتعبير الوظيفيين، أو "أفعالا متضمنة في القول" وناتجة عنه، بتعبير التداوليين، أو رسائل موجهة إلى المخاطب، من مثل: الإنكار عليه، أو تقريره، أو توبيخه وتقريعه، تتنوع تبعًا لاختلاف السياقات، ومصدرة بالدليل الإنجازيّ، من مثل: الهمزة، وهل، ومن، وكيف..إلخ أو من دون أداة؛ إذ يحل التلوين الصوتيّ ك(التنغيم والنبر) محلها. وله قوة إنجازية غير مباشرة تتفاوت شدة وضعفًا، وتتضمن معنى ثانويًّا".

٥– للاستفهام المباشر محددات أو ضوابط يجب توافرها، من أهمها: عنصر الزمان، وعنصر الإمكان، عنصر الإرادة، وأن يكون جوابه مذكورًا، وفحوى الجواب قوليًّا، وأن يكون طلبًا يهم المستفهم، ويعنيه شأنه، ومُوَجَّهًا إلى المخاطب، وأن يتوصل إلى غرضه الإنجازيّ الحرفيّ من تركيب العبارة نفسه، وأنه ذو قوة إنجازية مباشرة أو وضعية.

٦– للاستفهام غير المباشر محددات أو ضوابط يجب توافرها، منها: السياق، وقصد المتكلم، وقدرة المُخَاطَب على فهم قصد السائل، وحذف الجواب ، وألا يكون الاستفهام متعلقًا بالمستقبل، وألا تكون إجابة السؤال في إمكان المسؤول، وأنه لا يتوصل إلى غرضه الإنجازيّ من تركيب العبارة، ويجوز أن يلغى، ويتنوع وفق السياقات المختلفة، وأنه ذو قوة إنجازية غير مباشرة أو ضمنية، وتتضمن معنى ثانويًّا، ويتوصل إليها عن طريق عمليات الاستدلال العقليّ، وتضمنه الفعل الإنجازيّ المباشر؛ لكونه محوّلا عنه، و"مبدأ اللزوم" الذي يعد عند الأصوليين قرينة هادية إلى "المعنى الفرعيّ"، وصدوره عن الله –عزّ وجلّ–.

٧- للاستفهام قوتان إنجازيتان، إحداهما- مباشرة أو وضعية، إن كان الاستفهام مباشرًا، تتمثل في الجواب عن السؤال، وقد وردت في موضعين في سور آل حم، مصدرين بالدليلين الإنجازيّين "هل" للتصديق، و"ما" للتصور. وقد توافرت في الموضعين شروط إجراء الاستفهام على الأصل، وطابقت قوتهما الإنجازية مراد المتكلم. والأخرى- غير مباشرة أو ضمنية ، إن كان الاستفهام غير مباشر، وتتضمن معنى ثانويًّا. وتمثلت القوى الإنجازية للاستفهام غير المباشر في سور آل حم في: التقرير، والإنكار، والنفي، وإثارة النشاط الذهنيّ من أجل أمرية "أَخْبِرْنِي"، والتَّمنِّي، والتَّعجيب، والاستحالة. وتمثل هذه القوى الإنجازية المستنبطة من الاستفهام غير المباشر في سور آل حم بواعث إضافية أساسية، خلافًا لما ذهب إليه سيرل حين رأى أن أهم بواعث الأفعال غير المباشرة -ولاسِيَّما تلك التي تكون استفهامًا مقصودًا به الطلب- هو التأدب في الحديث. والاستفهام -بهذه الصورة- فعل كلاميّ إنجازيّ غير مباشر؛ إذ معناه الحرفيّ غير مقصود، وتخالف قوته الإنجازية الحرفية قوته الإنجازية غير الحرفية التي هي مراد المتكلم، وهي قوى إنجازية غير مباشرة تحكمها ضوابط، من أهمها-السياق، والعرف اللغويّ، وقصد المتكلم،وصيغة الفعل، والتركيب النحويّ، وقدرة المخاطب على الاستدلال، ومصاحبات المنطوق...إلخ.

٧- يعد التركيب الاستفهاميّ بصورته المباشرة أقوى إنجازًا من التركيب الاستفهاميّ في صورته غير المباشرة؛ إذ إنه -في صورته المباشرة- وسيلة من وسائل تقوية الإنجاز الذي يضيف قوة إلى قوة المنطوق الإنجازية؛ لصيغته ذات الدلالة الصريحة المباشرة، الثابتة، التي تعلن عن نفسها في كل سياق تقال فيه، ولا تحتاج إلى تأويل، بالإضافة إلى أن المتكلم فيها يحاول أن يفرض رأيه أو رغبته على المتلقي، بغرض انتزاع الجواب عن سؤاله. وهو في صورته غير المباشر وسيلة من وسائل إضعاف القوة الإنجازية أو تلطيفها، ولاسِيَّما إن كان غرضه العرض أو الاقتراح. والسبب في ذلك أن المتكلم في الاستفهام غير المباشر لا يحاول أن يفرض رأيه أو رغبته على المتلقي؛ إذ لا يريد أن يحصل منه على جواب عن سؤاله، بل يريد توصيل رسائل غير مباشرة إليه، تحتاج إلى الاستدلال والتأويل، وما تطرق إليه التأويل لا ينبغي عليه التعويل.

٨- تكشف الدراسة التطبيقية للقوة الإنجازية للاستفهام في سور آل حم- عن تفاوت القوى الإنجازية للاستفهام غير المباشر قوة وضعفًا؛ إذ الإنكار أقوى إنجازًا من النفي، والاستحالة أقوى إنجازًا من الإنكار وإثارة النشاط الذهنيّ حول المستفهم عنه أضعف إنجازًا من التقرير.

٩- يعد الإنكار هو القوة الإنجازية المهيمنة على القوى الإنجازية الأخرى؛ إذ ورد في تسعة وعشرين موضعًا؛ أي: بنسبة ٤٠,٢٧%، يليه التقرير الذي ورد في تسعة عشر موضعًا؛ أي: بنسبة ٢٦,٣٨%، ثم التعجيب الذي ورد في اثني عشر موضعًا؛ أي: بنسبة ١٦,٦٦%، ثم إثارة النشاط الذهنيّ التي وردت في أربعة مواضع؛ أي: بنسبة ٥,٥٥%، ثم للتمني موضعان فقط، ومثلهما للنفي والاستحالة ؛ أي: بنسبة ٢,٧٧% لكل واحد منهم. أما عدد مرات ورود الأدلة الإنجازية فهي على النحو الآتي: وردت الهمزة وحدها في ثلاثين موضعًا، فضلا عن ورودها في ثلاثة أخرى متلوة بـ"أم" المتصلة، وثمانية مواضع بالهمزة التي تتضمنها "أم" المنقطعة؛ أي التي بمنزلة (بل والهمزة)، وتسعة مواضع بـ"من"، وخمسة مواضع بـ"ما"، وأربعة مواضع بـ"هل"، وأربعة مواضع بـ"كيف"، وأربعة مواضع بـ"أنَّى"، وموضعين بـ"أين"، وموضعين بـ"أيّ". وفي موضع واحد بـ"أم" للتقرير، بمعنى "بل" من دون الهمزة.

١٠- نتج عن الاستفهام غير المباشر في سور آل حم قوى إنجازية متضادة، نحو: الإنكار والتقرير، النفي والتقرير، ويكون إنجاز التضاد في الإنكار والتقرير أقوى من إنجاز التضاد في النفي والتقرير. ومن ثم يمكن أن نستنتج أن القوة الإنجازية تكون في التدرج شدةً وضعفًا، كما تكون في المعاني المتضادة.

١١- تمت صيغ التركيب الاستفهاميّ في سور آل حم في أكثر من قالب لغويّ؛ إذ استخدم الاسم أو الجملة الاسمية، كما استخدم الفعل أو الجملة الفعلية. ومن شواهد ورود الاسم أو الجملة الاسمية قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ (الشورى:٢١)، و﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ (غافر:١١)، و﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٖ﴾ (الدخان:٣٧)، و﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف:٣٢)، و﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (الجاثية:٣١)، و ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ (الأحقاف: ٣٤)، و ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾ (فصلت:٩)، و ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾

﴿الزخرف:٢٥)، و ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ (فصلت:٤٧)، و ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (الأحقاف:٥)، و ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ (الدخان:١٣)، و ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (الجاثية: ٦). ومن شواهد ورود الفعل أو الجملة الفعلية قوله:﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ (غافر:٢٨)، و﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ (الزخرف:٦٦)، و ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ ﴿الشورى:١٧)، و﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ (غافر:٢٩)، و ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (غافر:٦٢)، و ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ (الزخرف:٥)، و ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ (الأحقاف: ٨)، و﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ (الزخرف:١٩)، و ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (الجاثية:٢٣).

١٢- في أداء النفي والإنكار، والتقرير، والتمني، والتعجيب، وإثارة النشاط الذهنيّ، والاستحالة- عن طريق الاستفهام معانٍ لا تؤدى في غيره؛ إذ الظاهر أن معنى النفي المستفاد في سور آل حم من (الهمزة) و (ما) لا يطابق النفي بحرف النفي، بل المعنى مختلف من جهتين، الأولى- أن النفي بـ (الهمزة) و (ما) ليس نفيًا محضًا، بل إنه استفهام أشرب معنى النفي، وقد جاء متضمنًا معنى التوبيخ مع الهمزة، والتهديد مع (ما)، وهذا ما لا يؤديه النفي المحض. والجهة الأخرى- أن المقصود من النفي عن طريق الاستفهام هو إشراك المخاطب في الأمر؛ لأنك بأسلوب الاستفهام تترقب منه جوابًا، وليس كذلك في النفي الصريح؛ إذ المقصود بالنفي الصريح إقرار من المخبر.كما يتعلق أداء النفي عن طريق الاستفهام بالدلالة على ثقة المتكلم بنفسه فيما قاله. ومثله الإنكار الذي تضمن: التوبيخ، والتجهيل، والتقريع، والتهكم، والتعجيب، والتهديد بالهمزة، والنصح ، والوعيد بـ"من". أما التقرير عن طريق الاستفهام ففيه تحفيز لإيجابية السامع؛ إذ يجعل ذهنه يبحث عن إجابات فلا يجد، فيتقرر المعنى في ذهنه فضل تقرر. وكذلك تضمن التقرير: الرمي بالغفلة، والإلزام بالحجة، والتوبيخ، والتعجيب، والتكبر، والتهكم بالهمزة، والإلزام بالحجة بـ"من"....إلخ. ولعل في التَّمنّي بـ(هل) والعدول عن (ليت) أداء لوظيفة تواصلية؛ وهي إبراز المتمني المستحيل وإظهاره في صورة الممكن القريب الحصول الذي لا

جزم بانتفائه؛ لكمال العناية به والشوق إليه. وتضمن التمني بـ"هل" الاسترحام، والتحسر والتندم. ويتحقق في أداء التعجيب عن طريق الاستفهام بـ"كيف" تنوع العذاب وتفاوته، الذي تذهب فيه النفس كل مذهب، ولا يتحقق بالتعجب الصريح. وقد تضمن التهديد مع كيف، والإنكار، والحث مع الهمزة، والإنكار مع "أنَّى" و"أيّ".وفي إثارة النشاط الذهنيّ حول المستفهم عنه- عن طريق الاستفهام بالهمزة المتلوة بـ"رأى"- ما ليس في غيره من الأساليب الخبرية، وكأن المستفهم يقول للسامع: اذهب فانظر بعينك الباصرة، وشكِّل صورة ذهنية للمستفهم عنه بعين قلبك، ثم أخبرني بما وصلت إليه، أليس هذا الذي انتهيت إليه مطابقًا لما أقوله، ومقررًا له. وقد تضمن التنبيه، والتقرير، والتعجيب بالهمزة. وقد تضمنت الاستحالة الإنكار بالهمزة و"من". فضلا عن أن في إيراد هذه الدلالات الإبلاغية بأسلوب الاستفهام- تشويقًا وإثارة للتفكير؛ بغية الاهتداء إلى معرفة وجه الصواب، فالاستفهام لا يجهر بمثل هذه الدلالات الخفية، بل يثير العقل الواعي؛ حتى يدرك المقاصد الإلهية، والوظائف التواصلية التي تتضمنها.

١٣- تميز الاستفهام في سور "آل حم" خاصة، وفي القرآن عامة- باستعمال غير المباشر أكثر من المباشر؛ أي بالميل إلى المقاصد غير المباشرة في التواصل أكثر من المباشرة؛ إذ جاء الاستفهام المباشر في "سور آل حم" في موضعين بـ"هل"، و"ما"، أما غير المباشر ففي اثنين وسبعين موضعًا، وسبب ذلك كون المُسْتَفْهِم -في عدد غير قليل من شواهده في سور آل حم- هو الله -عزّ وجلّ-، وهو منزه عن طلب الفهم؛ لأنه يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، ولا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، وأيضًا لتحريك آلة الاستدلال العقليّ التي يمكن أن تفضي إلى تعديل أفكار المخاطبين، وتغيير معتقداتهم.

١٤- لتقوية الإنجاز في الاستفهام غير المباشر في سور آل حم وسائل لغوية، أهمها: السياق أو مصاحبات المنطوق، والتركيب النحويّ وتنوع التعبير به تعريفًا وتنكيرًا، وتقديمًا وتأخيرًا، واستعمالاً للجملة الاسمية والفعلية، وبعض أدوات الربط، واستخدام

شبه الجملة، وصيغة الفعل، وبعض الأدوات، مثل: أدوات الاستفهام، والتوكيد...إلخ. واستخدام بعض الأساليب، مثل: التوكيد، والحصر، والأمر...إلخ.

المصادر والمراجع

أولا- العربية

أحمد حسام قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، دار النصر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م.

أحمد المتوكل:

١- آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفيّ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة بحوث ودراسات رقم (٥)، دار الهلال العربية الرباط، ١٩٩٣م.

٢- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفيّ، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.

٣- المنحى الوظيفيّ في الفكر اللغويّ العربيّ-الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٦م.

أحمد محمد الإدريسيّ: تداوليات الخطاب ولسانيات السكاكيّ، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ١٩٨٧م.

الألوسيّ (شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، ت١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

البخاريّ (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل- ت٢٥٦هـ): صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

البيضاويّ (نصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر- ت ٦٨٥هـ): "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، تحقيق محمد عبد

الرحمن المرعشليّ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.

الثعالبيّ (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل–ت٤٢٩هـ): فقه اللغة وسر العربية، تحقيق عبد الرزاق المهديّ، إحياء التراث العربيّ، ط١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.

الجرجانيّ (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن– ت٤٧١هـ): دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدنىّ بالقاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م.

ابن جني (أبو الفتح عثمان الموصلي– ت٣٩٢هـ): الخصائص، تحقيق محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، ط٣، ١٤٠٦هـ–٩٨٦م.

جون أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة– كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنينيّ، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٨م.

أبو حيان (أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي الأندلسيّ– ت٧٤٥هـ): البحر المحيط، تحقيق صدقي جميل، دار الفكر، بيروت،١٤٢٠هـ.

ابن خلدون (وليّ الدين عبد الرحمن بن محمد– ت٨٠٨هـ): المقدمة (كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، ضبط وشرح وتقديم: محمد الإسكندرانيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

الرازيّ (فخر الدين محمد بن عمر– ت٦٠٦هـ): التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

رضيّ الدين الإستراباذيّ: شرح الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، بنغازيّ، ط٢.

الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السَّري بن سهل– ت٣١١هـ): معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.

الزركشيّ (بدر الدين محمد بن عبد الله– ت٧٩٤هـ): البرهان فى علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي، ط١، ١٣٧٦هـ–١٩٥٧م.

الزمخشـرىّ (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر– ت٥٣٨هـ): الكشـاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.

السبكيّ (بهاء الدين أحمد بن علي– ت ٧٧٣ هـ): عروس الأفراح في تلخيص شرح المفتاح، تحقيق عبد الحميد هنداويّ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م.

ستانلي فش: "هل يوجد نص في هذا الفصل"، ترجمة: أحمد الشيميّ، ومراجعة: أحمد بربريّ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

أبو السعود (محمد بن محمد العماديّ– ت٩٥١هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

السكاكيّ (أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكيّ–ت٦٢٦هـ): مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٧م.

السمرقنديّ (أبو الليث نصر بن محمد– ت٣٧٣هـ): بحر العلوم، تحقيق وتعليق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، وزكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١.

السهيليّ (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد– ت٥٨١هـ)): نتائج الفكر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ–١٩٩٢م.

سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، ت١٨٠هـ): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م.

السيوطيّ (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر– ت٩١١هـ):

١– معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

٢– همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداويّ، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت.

الشاطبيّ (إبراهيم بن موسى بن محمد- ت٧٩٠هـ) الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م.

ابن الشجريّ (ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة- ت٥٤٢هـ): الأماليّ، تحقيق محمود محمد الطناحيّ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط١، ١٩٩١م.

الشوكانيّ (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله- ت١٢٥٠هـ): فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

الصَّبَّان (أبو العرفان محمد بن علي الشافعي- ت١٢٠٦هـ): حاشية الصبان على شرح الأشمونىّ لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

صلاح إسماعيل عبد الحق:التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد،دار التنوير للطباعة والنشر ،بيروت،ط١، ١٩٩٣م.

صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.

الطبريّ (أبو جعفر محمد بن جرير-ت٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

عادل فاخوري: الأفعال الكلامية، معهد الإنماء العربيّ، ط١، ١٩٩٨م.

عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميدانيّ: البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

أبو عبيدة (معمر بن المثنى-ت٢٠٩هـ): مجاز القرآن، تحقيق محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجىّ، القاهرة، ط١، ١٣٨١هـ.

الغرناطيّ (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير- ت٧٠٨هـ): ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربيّ، مكتبة الخانجيّ بمصر، ط٢، ١٩٧٩م.

عبد العظيم المطعنيّ: التفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الحكيم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

عبد الهادي الشهري:إستراتيجيات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

ابن عطية الأندلسيّ (أبو محمد عبد الحق بن غالب- ت٥٤٢هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافيّ محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

أبو علي الفارسيّ (ت٣٧٧هـ): المسائل الحلبيات، تحقيق د.حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، دار المنارة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

علي محمود الصَّراف: في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة- دراسة دلالية ومعجم سياقيّ، مكتبة الآداب، القاهرة،٢٠١٠م.

الغزاليّ (أبو حامد محمد بن محمد- ت٥٠٥هـ): المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣م.

الفارابيّ: كتاب الحروف، حققه وقدم له محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.

ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء- ت٣٩٥هـ): الصاحبيّ في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

فاضل صالح السامرائيّ: معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.

فان ديك: النَّصّ والسياق- استقصاء البحث في الخطاب الدلاليّ والتداوليّ، ترجمة عبد القادر قنينيّ، الدار البيضاء، دار إفريقيا الشرق، د.ت.

فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها–علم المعاني، سلسلة بلاغتنا ولغتنا(١)، دار الفرقان، الأردن، ط٤، ١٩٩٧م.

القاسميّ (محمد جمال الدين بن محمد– ت١٣٣٢هـ): محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري– ت٢٧٦هـ): تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر، المكتبة العلمية، د.ت.

القرطبيّ (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ– ت٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردونيّ، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ–١٩٦٤م.

القزوينيّ (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر– ت٧٣٩هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجيّ، دار الجيل، بيروت، ط٣، د.ت.

الكرمانيّ (شمس الدين محمد بن يوسف بن علي– ت٧٨٦ هـ): تحقيق الفوائد الغياثية، تحقيق ودراسة: علي دخيل الله العوفيّ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٤هـ.

الكفويّ (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسينيّ– ت١٠٩٤هـ): الكُلِّيَات، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصريّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر– ت٧٥١ هـ): إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

طاهر سليمان حمودة: دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٨٣.

الماتريديّ (أبو منصور محمد بن محمد– ت٣٣٣هـ): تفسير الماتريديّ "تأويلات أهل السنة"، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

المبرِّد (أبو العباس محمد بن يزيد الأزديّ– ت٢٨٥هـ): المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د. ط، د. ت.

محمد البوطيّ: من روائع القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م.

محمد رشيد رضا(ت١٣٥٤هـ): تفسير القرآن الحكيم المسمى "تفسير المنار"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

محمد العبد: النَّصّ والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعيّ، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.

محمد الغزاليّ: نحو تفسير موضوعيّ لسور القرآن الكريم، دار الشروق، ط٤، ٢٠٠٠م.

محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.

مسعود صحراويّ: التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللسانيّ العربيّ، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م.

ابن هشام (جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد- ت٧٦١هـ)**:** مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق:د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥.

أبو هلال العسكريّ (الحسن بن عبد الله بن سهل- ت٣٩٥هـ)**:** الفروق اللغوية، حققه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ت.

يحيى بن حمزة العلويّ- ت٧٤٥هـ: الطراز لأسرار البلاغة ، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

ثانيًا– الأجنبية

Austin. J. L. (1962): How to do Things with Words, Harvard University Press.
Bussmann. H. (1996): Dictionary of Language and Linguistics. Translated and edited by Trauth. G.P. and Kazzazi, K. Routledge. London& New York.
Cohen, L.J. (1974): "Speech acts" Current trends in linguistics, Vol.12.
Geis, M, L. (1997): Speech act and Conversational Interaction. Cambridge University Press.
Green, K. & Lebhan, J. (1996): Critical Theory& practice, (London/New York)
Helbig, G. (1990): Entwicklung der Sprachwissenschaft seit 1970, Westdeutscher Verlag GmbH. Opladen.
Leech, G. (1983): Principles of Pragmatics. Group limited. London.
Leech, G & Thomas, J. (1990): Language, Meaning and context: Pragmatics, in: Collinge, N.E (ed): An Encyclopedia of Language. Routledge London and New York.
Levinson. S. C. (1983): Pragmatics. Cambridge University Press
Lyons. J. (1996): Linguistic Semantics. An Introduction. Cambridge University Press.
Searle. J. R. (1969): Speech Acts. An Essay in the philosophy of language. Cambridge University Press.
Searle. J. R. (1972).: The Philosophy of Language, Oxford University Press.UK..
Searle. J. R. (1981): Expression and Meaning. Studies in the Theory of Speech Acts, Cambridge University Press.
Thomas. J. (1996): Meaning in Interaction. An Introduction to Pragmatics.
Longman, London and New York
Vanderveken, D. (1990): Meaning and Speech Acts. Vol.1: Principles of Language, Cambridge University, Press.